المَعْنى النَّحْوِيُّ والمَعْنى الدّلالِيُّ
دراسة تَحْلِيلِيَّة

د/ طارق إبراهيم محمد أحمد (*)

مُلَخَصُّ البَحْثِ:

يَتَنَاوَلُ هَذَا البَحْثُ بالدَّرْسِ المَعْنَى النَّحْوِيَّ والمَعْنَى الدِّلالِيَّ والعلاقة بينهما، وتفسيرَ الإعراب وتفسيرَ المعنى؛ ففي الإعرابِ تَمَيُّزُ المعاني، ويُوقَفُ بِهِ على أغْرَاضِ المُتَكَلِّمِينَ، وهو الفارق بَيْنَ المعاني، كَمَا أنَّ النحو نظام بناء التَّراكِيب عَلَى أساسٍ مِنَ المعاني (دَوْرُ النَّحْوِ فِي الكَلَام).

وتَهْدِفُ الدِّراسَة إلى تَحْلِيلِ العلاقة بينَ المَعَانِي النَّحْويَّة والمعاني الدلالِيَّةِ.

وَقَدْ انْتَهَجَ البَحْثُ فِي سَبيلِ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ مَنْهَجًا تَحْلِيلِيًّا .

ومن أهم النتائج التي توصَّل لها البحْثُ: أنَّ النحو نظام بناء التَّراكِيب عَلَى أساسٍ مِنَ المعاني، وأنَّه بنيةُ إنتاج الكَلَام العربيّ.

وقد أعْدَدْتُ لِدِراسَتِي مُلَخَّصَيْنِ: أحدهما باللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، والآخَر باللُّغَةِ الإنجليزيَّةِ.

الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَّةُ: المعنى، الدلالة، التفسير، الإعراب، النحو، المَعْنى النحويّ، المعنى الدلاليّ.

(*)المُدَرِّسِ بِقِسْمِ النَّحْوِ والصَّرْفِ والعَرُوضِ – كُلِّيَّةِ دَارِ العُلُومِ ـ جَامِعَةِ القَاهِرَةِ.

tariqahmed23112015@gmail.com

Grammatical meaning and Semantic meaning

Analytical Study

The Research abstract:

This paper deals with Grammatical meaning, Semantic meaning, and

The relationship between them, Interpretation of Parsing and Interpretation of meaning, Meanings Individuation by the Parsing, and it depends on Speakers intentions, it differentiate between the several meanings, also The Arabic Syntax is a system for Constructing Structures on temporary basis of the meanings (The role of Syntax in Speech).

The study aims to Analysis of The relationship between Grammatical meanings, and Semantic meanings, and The Arabic Syntax is a system for Constructing Structures on temporary basis of the meanings .

The research pursue an analytical explanatory procedure.

An important result which the research reach that the Arabic syntax is a system for Constructing Structures on temporary basis of the meanings, it is also the structure of Arabic Speech production .

I prepare two research summaries: One by Arabic and another by English.

The key words: the meaning, the indication, the interpretation, Syntax, Grammatical meaning, Semantic meaning .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحَمْدُ لِلَّهِ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَبَعْدَ:

فإنَّ علمَ نحوِ العربيةِ من العلوم العقليَّة التي يُفهمُ بها كتابُ الله تعالى، وبها تُعرفُ مَرَامِيه ومَقاصِدُهُ، وكذلك يتوصَّلُ بها إلى فهم سنَّةِ نبيَّنَا صلى الله عليه وسلم، ودراسة معانِيها، فالنحو إذًا مع غيره من علوم العربية؛ من وسائل حفظ الكتاب والسنَّة المطهرة.

وبناءً على ذلك قامت الحركةُ العلميَّةُ الكُبرى، لعلمائِنَا القُدَامى من جمعِ اللغة ثمَّ التوفُّرِ على دراستها، وتحليلِها، والتقعيدِ لها، على ما هو معروفٌ في تاريخ النحو ونشأته، وأصوله، وبدايات الكتابة والتصنيف فيه بما خلَّفَ تراثًا عظيمًا.

وإنَّني أدركُ أنَّ اللغةَ في ذاتِها نظامٌ ، وأنَّ هناك ارتباطًا وثيقًا بين اللغة والفكر؛ استنباطًا من اللغةِ، وتوليدًا من جانب العقلِ، ثمَّ صياغةً من جانبِ اللغةِ.

وهذا النظامُ ـ أراه ـ يتوافقُ مَعَ نظامِ الكون؛ باعتباره معبِّرًا عن العالم الخارجيّ والموجودات، ومفاهيم أناسٍ دُعُوا بالعرب وتصوراتهم ـ الفطريَّة ـ عنه، وعن أنفسهم، ومعبرًا عن أفكارهم ومشاعرهم؛ مصوغًا منهما مع تعقُّلِه، مشتملًا على تعقلهم وحكمتهم فيه، وهذا بُعدٌ فيزيقيٌّ متلبّسٌ بِبُعدٍ ميتافيزيقيّ.

يتكاملُ هذا النظامُ في منظوماتِه المستنبطةِ لاحقًا بالتَّأمُّلِ العقليّ في التراكيبِ والصيغ والنصوص، كما كان عهْدُهُ في الاستعمال الأول.

ولم ينطلق العلماءُ العربُ في استكشافهم للنظام من فراغٍ، بل كانوا عربًا ارتوَوا عربيةً حتى ساغوا، وكانوا امتدادًا لآبائهم وأجدادهم، ورثوا عنهم إدراكاتهم،

وتميزوا بعقلٍ علميٍّ منظِّر، وأذهان متأملة، وأدوات مؤهلة تدفعُ للبحثِ والجمعِ، فلم يكونوا أصحابَ أذهان فارغةٍ خِلْوٍ من اللغة.

ولقد تصدَّوا ـ بهذا التأهل ـ لجمعها ومعالجتها وفق معاييرَ وضعت من وحي المهمة التي اضطلعوا بها، ثم تحليلها، ثم التقعيد منها لها؛ واقفين على أوضاعها اللغوية بمستوياتها الصوتيَّة، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والدلالية، بل إن دلالات الألفاظ المعجمية هي المعنى المركز المكثَّف للمعاني المتعاورة على البنية اللفظية لسياقات افتراضية ذهنية ـ شارحة ـ وحصيلة تلاقحات سياقية تكتنزُ خبراتِ الناطقين عبر دهور تطور اللغة وتجاربَهم ؛ فيما أسميه أنا النصَّ الموازيَ، والنصَّ الذهنيّ.

وقد انطلقوا من ملاحظاتهم وإدراكاتهم العقلية؛ القادرة على إنتاج اللغة، ودراسة أساليبها، وأنماطها، والقدرة على تصنيفها بعد استقرائها؛ الذي هو عمليةٌ مزدوجةٌ ديناميَّة حيَّة نابضة بين العلماء والعرب المتكلمين، في تحقيق مناخٍ بيئيٍّ لغوي، غير منفصلين عنه بحسٍّ أو ذوقٍ أو إدراك، أو متخلفين عنه بأداةٍ عقلية أو معرفية.

الدِّراسات السَّابقة:

سبقت بَعْضُ المؤلَّفاتِ إلى دراسة هذا الموضوع، ومِنْ أبرزِها كتاب أستاذنا الدكتور: محمد حماسة عبد اللطيف ـ رحِمَهُ الله ـ في كتابِهِ " النَّحْو والدلالة" غَيْرَ أنَّها دراسةٌ في ضَوْءِ عِلْمِ اللغةِ الحديث، وبَعْضِ اتجاهاتِهِ المعاصرة.

بَيْدَ أنَّ كِتابَ حُجَّةِ العَرَبِ وإمامِ النُّحاةِ سيبويه "الكتاب" قَدْ وُضِعَ فِيهِ النَّحْو على معانِي العَرب، ومقاصدِهم، ووجوهِ تصرُّفِهم فيها، ومجاري أساليبِهم، ويَشْتَمِلُ على النِّظامِ الحقيقيّ للنحو، مَا يدعو لتكثيفِ البحْثِ لاستكشافِ هذا النِّظامِ شَيْئًا فَشَيْئًا .

أهميَّة الموضوع:

ترجع أهمية هذا الموضوع لأهمية عِلْمِ النَّحْوِ ذَاتِهِ فِي إنتاج الكلام، ولِأَنَّ وضعَ النَّحْوِ أَصَالَةً عَلَى المَعَانِي، كَانَ التحليلُ النحويُّ بالنَّظَرِ إلى المعاني، وتَأمُّلِ العلاقاتِ في التَّرَاكيبِ لإنشائها أصالةً على المعاني النحويَّة، وتَعْلِيقِ الكَلِمِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ بِسَبَبٍ مِنْ هَذا.

أسباب اختيار الموضوع:

١ـ دافعٌ موضوعيٌّ، وهو محاولةُ فَهْمِ معاني النحو ودورها في تكوين المعاني الدلالية للجُمَلِ العربية فالنصوص .

٢ـ إثراء مكتبة التحليل النَّحْوِيّ.

٣ـ البحث من مطلوبات التَّرَقِّي لِدَرَجَةِ أستاذٍ مُساعِدٍ، فله جانب إجباري ضروريّ للوفاء بهذا المطلوب، وجانب اختياري يرجع إلى اختياري الشخصي للموضوع محلِّ الدراسة.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعةُ هذه الدِّرَاسةِ معالجتَها بِمَنْهجٍ تَحْلِيليٍّ.

التكوين العلميّ للدراسة:

جَاءَتِ الدراسة بَعْدَ مُقَدِّمَتِها فِي:

ـ تمهيد: عرضت فيه لِمُصْطلحات البَحْث، ومبحثَيْنِ، هُمَا عَلَى التَّرْتِيبِ:

ـ المبحث الأوَّل: التفسير النحوي والتفسير الدلالي، ويَشْتَمِلُ عَلى مَطْلَبَيْنِ، هُمَا:

المطلب الأوَّل: تَفْسير الإعراب وتَفْسيرُ المعنى .

المَطْلَب الثَّانِي: النحو نظام بناء التَّراكِيب عَلَى أساسٍ مِنَ المعاني (دَوْرُ النَّحْوِ فِي الكَلَام) .

ـ المبحث الثَّاني: دَرْءُ التَّعارُضِ بَيْنَ مَعانِي النَّحْو والمعاني الدلالِيَّة (نماذج تطبيقيَّة).

ـ خاتمة: تضمَّنت أهمَّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وتُلِيَتْ بثبت المراجع.

وبعد: أسأل الله أن يتقبلَ عملي هذا بقبولٍ حسن، وأن ينفعَ به، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:٨٨].

تمهيـــد

إنَّ الحَرَكَةَ العِلْمِيَّةَ التي قَامَتْ فِي الصَّدْرِ الأوَّلِ مِنْ أجْلِ جَمْعِ اللُّغَةِ، ودَرْسِها، وتَحْلِيلِها، ثُمَّ التَّقْعِيدِ لَها، لَمْ تَكُنْ بِهَدَفِ صِيَانَةِ القُرْآنِ عَنِ اللَّحْنِ فَحَسْب، إنَّمَا كَانَ ذلِكَ لِفَهْمِ القُرْآنِ ـ العَرَبِيّ ـ المُتَعَبَّدِ بِهِ اللَّهُ، بمَعْرِفَةِ مُرَادِهِ، وفَهْمِ مَعَانِي كَلامِهِ، والعَمَلِ عَلَى تَحْقِيقِهِ .

بَيْدَ أنَّهُ وَقَعَ الانفِصَالُ فِي التَّقْعِيدِ للغَةِ العَرَبِيَّةِ، فَهُناكَ عُلَمَاءُ انطلقُوا مِنَ اللُّغَةِ العَامَّةِ ـ التُّرَاثِ الشِّعْرِيّ والنَّثْرِيّ للواقِعِ العَرَبِيّ يَوْمَئِذٍ ـ مُتَّجِهِينَ إلَى القُرْآنِ مُطَبِّقِينَ عَلَيْهِ مَا صَاغُوهُ مِنْ قَوَاعِدَ، ولو كان انطلاقُهم مِنْ القرآنِ في اتجاه اللغة العامَّة ـ أو بهما مَعًا ـ فكانَتْ لهم عيونٌ في لُغَةِ القُرْآنِ الجَامعةِ، وعُيُونٌ في اللغة العامَّةِ ، فَرَدُّها إلى الأولَى؛ لِتُحَقِّقَ التَّجَانُسَ والتَّوَافُقَ فِي دراسةِ الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّة؛ صَوْتِيَّةً، وصَرْفِيَّةً، وتَرْكِيبِيَّةً، ودِلالِيَّةً، ومَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنَ التَّعَارُضِ بَيْنَ المَعَانِي النَّحْوِيَّةِ والمَعَانِي الدِّلَالِيَّةِ، ولَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنَ التَّعَارُضِ بَيْنَ تَفْسيرِ الإعرابِ وتفسير المَعْنَى، بَلْ مَا وَقَعَ بَعْضُهُم فِي رَدِّ بَعْضِ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ الصَّحِيحَةِ .

وتَأتِي هَذِهِ الدِّرَاسَةُ لِتَأمُّلِ النِّظَامِ المُفَسِّرِ لِتَرَاكِيبِهِ، فِي تَفَاعُلِهِ مَعَ مَنْظُومَةِ تَأويل المَعْنَى وتَفْسِيرِهِ المُؤَلَّفَةِ مِنْ عُلُومٍ شَتَّى .

واسْتِكْشَاف التَّعَارُضِ الواقِعِ بَيْنَ المَعَانِي النَّحْوِيَّةِ والمَعَانِي الدِّلَالِيَّةِ، وبَيْنَ تَفْسِيرِ الإعْرَابِ وتَفْسيرِ المَعْنَى، إمَّا بِكَشْفِ خَطَأ الإعرابِ وتَفْسِيرِهِ،أو بِبَيَانِ بُعْدِ المَعْنَى أو ضَعْفِهِ أو فَسَادِهِ أحْيَانًا .

ومَقْصُودُ الدِّرَاسَةِ الأسمَى هُوَ اسْتِبْطَانُ المَعَانِي النحويَّة، ومَدَى تَحَقُّقِها فِي التَّرَاكِيبِ، مَعَ المعانِي الإفْرَادِيَّة، والمَعَاني السِّياقِيَّة المُعَبَّرِ عَنْها بنظام تركيبيّ مُعَيَّنٍ أو لأجْلِها تَتَعَدَّدُ التَّوْجِيهاتُ الإعْرَابِيَّة لانفتاحِ النَّصِ عَلَى تَأويلاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، أي مَعَ المعاني الدلالِيَّة والتَّفْسيريَّة، وتَلَمُّسُ إضَاءَاتٍ لِتَفْسِيرٍ إعْرَابِيٍّ يَتَّفِقُ ويَتَوَافَقُ

كُلُّهُ مَعَ تَفْسِيرِ المَعْنَى، وإِصْلَاحُ الغَلَطِ فِي تَفْسِيرِ المَعْنَى، وإِبْطَالُ التَّأْوِيلَاتِ الفَاسِدَةِ.

وَيُؤْتَى المُعْرِبُ المُبَاينُ للمَعْنَى مِنْ قِبَلِ بَعْضِ الجِهَاتِ، مِنْهَا:

١. أن يُرَاعِيَ مَا يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُ الصِّنَاعَةِ ولا يُرَاعِي المَعْنَى، أو الظَّنّ بأَنَّ العِنَايَة بالجَانِبِ المَقَامِي لَيْسَتْ مِنَ اخْتِصَاصِهِ، أو اخْتِصَاصِ عِلْمِ النَّحْوِ .

٢. أن يُرَاعِيَ المُعْرِبُ مَعْنًى صَحِيحًا، ولا يَنْظُرَ فِي صِحَّتِهِ فِي الصِّنَاعَة .

٣. أنْ يُخَرِّجَ عَلَى مَا لَمْ يَثْبُتْ فِي العَرَبِيَّة، وذَلِكَ إِنَّمَا يَقَعُ عَنْ جَهْلٍ أو غَفْلَةٍ .

٤. أنْ يُخَرِّجَ عَلَى الأُمُورِ البَعِيدَةِ والأَوْجُهِ الضَّعِيفَةِ، وَيَتْرُكَ الوَجْهَ القَرِيبَ والقَوِيَّ.

٥. أنْ يَتْرُكَ بَعْضَ مَا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ مِنَ الأَوْجُهِ الظَّاهِرَةِ .

٦. ألَّا يُرَاعِيَ الشُّرُوطَ المُخْتَلِفَةَ بِحَسَبِ الأَبْوَابِ .

٧. أنْ يَحْمِلَ كَلَامًا عَلَى شَيْءٍ وَيَشْهَدَ اسْتِعْمَالٌ آخَرُ فِي نَظِيرِ ذَلِكَ المَوْضِعِ بِخِلَافِهِ .

٨. أنْ يَحْمِلَ المُعْرِبُ عَلَى شَيءٍ وفِي ذلك المَوْضِعِ مَا يَدْفَعُهُ .

٩. ألَّا يَتَأَمَّلَ عِنْدَ وُرُودِ المُشْتَبِهَاتِ .

١٠. أنْ يُخَرِّجَ عَلَى خِلَافِ الأَصْلِ، أو عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ لِغَيْرِ مُقْتَضٍ [١].

ويَنْبَنِي عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ آنِفًا ضَرورَةُ عِلْمِ المُعْرِبِ بالعُلُومِ التي تُؤَهِّلُهُ للنَّظَرِ فِي تَفْسِير النُّصُوصِ، وما النَّحْوُ والإعرابُ إلَّا واحِدٌ مِنْها؛ لا يُغْنِي عَنها ولا تكْتَمِلُ بِدُونِهِ، وضَرُورَةُ عِلْمِ المُفَسِّرِ واللُّغَوِيِّ بِعِلْمِ الإعراب وقواعِدِ النَّحْو ومعانِيه استنباطًا أوَّلِيًّا مِنْهُ، أو اخْتِيَارًا مِنْ بَيْنِ الأعارِيبِ المُخْتَلِفَةِ؛ لِيَحْسُنَ تَوْجِيهُهُ للإعرابِ فِي ضَوْءِ عِلْمِهِ بالمَعْنَى والدِّلالةِ التي ترصُدُها مَصَادِرُ اللُّغَة والتَّفْسير الأخْرى التي يَعْلَمُها حَتَّى تَتَكَامَلَ شَخْصِيَّةُ مُفَسِّرِ النَّصّ .

---

(١) مُغْنِي اللَّبِيبِ عَنْ كُتُبِ الأعارِيب: لابْنِ هِشَام الأنصارِيّ ١٨٥/٢ ومَا بعدَها، تَحْقِيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م.

ولَقَدْ كَانَ مِنْ أثَرِ التَّقْعِيدِ فِي انفِصَالٍ عَنِ القُرْآنِ الكَرِيمِ (الذي نَفَخَ فِي اللغةِ العربيَّةِ الرُّوحَ)، وجَعْلِ القُرآنِ نَمَاذِجَ تَطْبيقِيَّةً عِنْدَ بَعْضِهِم تَحْكِيمًا مِنْهم للقاعدةِ عَلَى النَّصّ القُرآنِيّ بِقِرَاءاتِهِ؛ أقولُ كَانَ مِنْ أَثَرِهِ نُشُوءُ التَّعَارُضِ بَيْنَ بَعْضِ المَعَاني النَّحْوِيَّةِ والمعاني الدلاليَّة والتَّفْسيريَّةِ .

قَالَ السيوطِيُّ: "وقَدْ يَقَعُ فِي كَلامِهِم: هَذا تَفْسيرُ مَعْنًى، وهَذَا تَفْسيرُ إعْرَابٍ، والفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أنَّ تَفْسيرَ الإعرابِ لا بُدَّ فِيهِ مِنْ مُلاحَظَةِ الصِّناعَةِ النَّحْوِيَّة، وتَفْسيرُ المَعْنَى لا تَضُرُّهُ مُخَالَفَةُ ذَلِكَ[١].

قُلْتُ: مُلاحَظَةُ الصِّنَاعَةِ النَّحْوِيَّةِ رُؤْيَةٌ بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ، ويَلْزَمُ العِلْمُ بالمَعْنَى الحَقِيقِيّ (البنية العميقة) مع ملاحظة تحقق المعاني النحويَّة، ولَعَلَّ تكثيف العناية بالصناعة النحويَّة كَثُرَ فِي المتأخِّرِينَ، ومُلاحظةَ الصِّنَاعَة النحويَّة قَدْ تكُونُ غَيْرَ مُكْتَمِلَةٍ، بِعَدَمِ اسْتِحْضَارِ سائرِ المعاني النَّحْويَّة (أو تَوَهُّمِ مَعَانٍ غَيْر موجُودَةٍ)، مَعَ إسقاطِها عَلَى النُّصُوصِ والتَّرَاكِيبِ، والنَّظَرِ فِي مَدَى تَحَقُّقِها .

وقَدْ يكونُ تكوينُ تفسير المعنى مرهونًا بصِحَّةِ تفسيرِ الإعراب.

وتفسيرُ المعنى: طَلَبُ مَعْنى اللَّفْظِ مُفْردًا ومُرَكَّبًا مَعَ غَيْرِهِ تَرْكِيبًا نَحْويًّا صَحِيحًا مَبْنِيًّا عَلَى تَصَوُّرِ الموقْفِ الكلامِيّ ومَقَاصِدِهِ، فِي سِيَاقٍ مُعَبِّرٍ عَنْ مُقْتَضَى الحَال. وفَهْمُ النُّصُوصِ لا يُمْكِنُ أن يُتَحَصَّلَ إلَّا بالرُّجُوعِ إلى قَوَاعِدِ العَرَبِيَّةِ، والاسْتِنَادِ إلى وَضْعِ الألفاظِ عِنْدَ العَرَبِ وأعْرَافِها فِي المخاطبَةِ والتَّعْبير، وتَصَرُّفِها فِي وُجُوهِ القَوْلِ، بالرُّجُوعِ إلى المعاجمِ، ودِيوانِ العَرَبِ، ونَثْرِها مِنْ أمثَال سائرة وغَيْرِها، مِنْ حَيْثُ التَّراكِيبُ وعَوَارِضُها ومعانيها، وتَفْسير الموقف الكلامِي والوقوف على مواضع الحَذْفِ والتَّقْدِير، والتَّقْديم والتَّأخير، وغَيْر ذلك .

---

(١) الإتقان في عُلومِ القُرْآن: للسيوطيّ ١٨٢/١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

يَقُولُ ابْنُ جِنِّي: " إنْ أمكَنَكَ أن يَكُونَ تَقْدِيرُ الإعْرَابِ عَلَى سَمْتِ تَفْسير المعْنَى، فَهو مَا غَايَةٌ وَرَاءَهُ، وإنْ كَانَ تَقْدِيرُ الإعْرَابِ مُخَالِفًا لِتَفْسيرِ المَعْنَى؛ تَقَبَّلْتَ تَفْسيرَ المَعْنَى عَلَى مَا هُو عَلَيْهِ، وصَحَّحْتَ طَرِيقَ تَقْدِيرِ الإعْرَابِ حَتَّى لا يَشِذَّ شَيْءٌ مِنْها عَلَيْكَ، وإيَّاكَ أن تَسْتَرْسِلَ فَتُفْسِدَ مَا تُؤْثِرُ إصْلَاحَهُ[1] .

وتأتِي هذه الدِّرَاسةُ (في مبحثها الثَّاني) مُحَاولَةً لاسْتبطَانِ التَّراكيب، والنَّظَرِ في المعاني النحويَّة وأيُّها يَتَحَقَّقُ فيه (أي المعاني تتحقق في التركيب أو قد يكون هناك أكثر من مَعْنى بحسب توجيه الإعراب والأوجه الإعرابية المحتملة)، واستكشاف مَا يتعارَضُ مَعَ المَعْنى أو يتدافع بعضُهُ بَعْضًا، وأيها يجتمعُ ويلتئمُ أو يأبى، ثُمَّ إصْلاح طَرِيقِ الإعراب، أو تأويل النَّصّ بما يرفع التعارض، وكَشْفِ التَّفاعُل بين المعنى الإعرابي والمعنى الدلالي التفسيري، ورَصْدِ الغَلَطِ في تفسير الإعراب أو فسادِ المعنى .

والوقوف على كيفية معالجة النَّصّ بتفسير الإعراب وتفسير المعنى، للوقوفِ على مقاصدِهِ، وفَهْمِهِ .

([1]) الخَصَائص: لابن جِنِّي ٢٨٣/١ ـ ٢٨٤، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

مُصْطلحات البحث

مصطلح المعنى

المعنى لغةً: هُوَ الْقَصْدُ الَّذِي يَبْرُزُ وَيَظْهَرُ فِي الشَّيْءِ إِذَا بُحِثَ عَنْهُ.

يُقَالُ: هَذَا مَعْنَى الْكَلَامِ وَمَعْنَى الشِّعْرِ؛ أَيِ: الَّذِي يَبْرُزُ مِنْ مَكْنُونِ مَا تَضَمَّنَهُ اللَّفْظُ(١).

وأمَّا اصطلاحًا: " فهو القيمةُ الدقيقة التي يتخذها هذا المدلول المجرد في سياقٍ أوحَدَ(٢)".

لا يمكن للعلاقة بين اللفظ والمعنى أن تنفصم، فالعناية بأحدهما لا تتمُّ بمعزلٍ عن صاحبه، والمعنى في الفكر النحوي مُقدَّمٌ على اللفظ، وكما كان تقدم المعنى على اللفظ تفسيرًا للمطرد من ظواهر اللغة، فقد قدَّم تفسيرًا لما خرج على القياس منها؛ إذ هو ركنٌ من أركان التفسير النحويّ " فقد رأيت بما أوردناه غلبة المعنى للفظ، وكونَ اللفظِ خادمًا له مشيدًا به وأنه إنما جيء به له ومن أجله، وأما غير هذه الطريق من الحمل على المعنى، وترك اللفظ كتذكير المؤنث وتأنيث المذكر، وإضمار الفاعل لدلالة المعنى عليه، وإضمار المصدر لدلالة الفعل عليه، وحذف الحروف والأجزاء التوامّ والجمل، وغير ذلك حملًا عليه وتصوُّرًا له، وغير ذلك مما يطول ذكره ويملُّ أيسره؛ فأمرٌ مستقرٌّ ومذهبٌ غير مستنكرٍ "(٣).

---

(١) مقاييس اللغة: لابن فارس ١٤٩/٤(بَابُ الْعَيْنِ وَالنُّونِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) مفاتيح الألسنية: جورج مونان ص١٢، ترجمة: الطيب البكوش، منشورات الجديد، تونس، ١٩٨١م.

(٣) الخصائص ٢٣٧/١.

وبناءً على فكرة تقدم المعنى ـ لكونه يمثل الغاية من الكلام ظهرت فكرة التجانس بين اللفظ والمعنى؛ إذ أسبقية المعنى تعني وجوبَ إتْباع اللفظ له، ومجانسته إياه(١).

مصطلح التفسير

التفسير لغةً: الفَسْرُ البيان. فَسَرَ الشيءَ يَفْسِرُه بالكسر ويَفْسُرُهُ بالضَّمِّ وفَسَّرَهُ: أبَانه. والتفسيرُ مثله.

ابن الأعرابي: التَّفْسِيرُ والتَّأْوِيلُ بمعنًى وَاحِدٍ.

الفَسْرُ: كَشْفُ المُغَطَّى، والتَّفْسِيرُ: كَشْفُ المُرادِ عَنِ اللَّفْظِ المُشْكَلِ(٢).

التفسير اصطلاحًا:

استخدم النحاة التفسيرَ، وهم يريدون به بيان المعنى وكشف غموضه، وجعلوه أحيانًا مساويًا للتأويل، وتتحدد دلالاته باستخداماته النحوية، على نحو ما يلي:

١ـ إزالة إبهام بعض الكلمات: استخدم التفسير للدلالة على ذلك اللفظ الذي يزيلُ إبهامَ ضمير الشأن، فخرج بذلك عن مجرد الدلالة على بيان المعنى؛ حيث أصبحت له دلالة على وظيفة نحوية، فـ " كذلك لو قيل لك: أَضْمِرْ رجلًا من قولِك: ربَّ رجلٍ مررتُ به، لم يجز؛ لأنك تصير إلى أن تقول: ربَّه مررتُ به؛ فتُعملَ (رُبَّ) في المعرفة.

فأما قولهم: ربَّه رجلًا، وربَّها امرأةً، فإنما جاز ذلك لمضارعة هذا المضمر للنكرة؛ إذ كان إضمارًا على غير تقدُّمِ ذكرٍ، ومحتاجًا إلى التفسير؛ فجرى تفسيره مجرى الوصف له"(١).

---

(١) التفسير النحوي بين القاعدة والاستعمال: لحنان أحمد أبو العز ٥٦، رسالة دكتوراه بإشراف: أ. د. محمد عبد العزيز عبد الدايم، بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م

(٢) لسان العرب: لابن منظور الإفريقيّ (فسر)، طبعة دار المعارف، القاهرة، مصر .

٢ـ بيان السبب أو العلَّة: في مجال التركيب ببيان السبب وكشف الغموض وإزالة خفاء العلة، يقول الزجاجي: " لام التبيين تلحق بعد المصادر المنصوبة بأفعال مخزولة مضمرة لتبينَ مَنْ المدعو له بها، وذلك قولك: سقيًا ورعيًا ... قال سيبويه: كل هذا منصوب على إضمار الفعل المختزل استغناءً عنه بها، ثم نقول في تفسير ذلك: تأويله سقاك الله سقيًا، ورعاكَ الله رعيًا، وخيَّبَه خيبةً، وما أشبه ذلك، وإنما اختزل الفعل لأنهم جعلوا المصدر بدلًا منه، ثم تلحق لام التبيين، فيقال: سقيًا لزيدٍ، ورعيًا له ... لأنه لولا هذه اللام لم يُعلم من المدعو له بشيءٍ من هذا أو المدعو عليه "[٢].

فقد استخدم النص مصطلح التفسير في سياق بيان سبب النصب وهو الاعتداد بالفعل المحذوف، ثم بيان العلة وراء هذا الحذف.

وَيُفْهَمُ الدَّلِيلُ النَّحْوِيّ ـ القائم بلا شَكٍّ على فَهمِ المعاني ـ عَلَى أنه: " هو الاجتهاد في التصنيف، أو التوجيه، أو التفسير الذي يقدم للأحكام أو القواعد التي تثبتها المصادر النحوية"[٣].

ومَا ذُكِرَ آنِفًا يَقُومُ جَمِيعُهُ عَلَى الفِكْرِ اللغويّ، وتَحَرِّي المعاني، وتتبُّعِ مجاري الأساليب.

ويتَجَلَّى ذلك في كَوْنِ " الفُروض التي يضعها اللغويون العرب لتفسير الظاهرة المفردة تتعدد بشكل كبير؛ فقد نجد أكثر من تفسير للظاهرة الواحدة[٤] ".

---

(١) الخصائص٣/١٦٤.

(٢) اللامات: للزجَّاجِيّ ١٢٢ـ ١٢٣، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر – دمشق، ط. ثانية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

(٣) الاستدلال النحوي، نحو نظرية معاصرة لأصول النحو العربي: محمد عبد العزيز عبد الدايم ص٤٥، دار الهاني، ٢٠٠٨م، بدون طبعة.

(٤) النظرية اللغوية في التراث العربي: د. محمد عبد العزيز عبد الدايم ١٣٩، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة،

مُصْطَلح الدلالة

الدّلَالَةُ لُغَةً: دَلَّهُ عَلَى الشَّيْءِ يَدُلُّهُ دَلًّا ودَلالةً فَانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إِلَيْهِ ... وقَدْ دَلَّهُ عَلَى الطريقِ، يَدُلُّهُ دَلالةً ودِلالةً ودُلُولَةً ... والاسْمُ الدِّلالة والدَّلالة بالكَسْرِ والفَتْحِ، والدُّلُولةُ والدِّلِّيلَى. قال سيبويهِ: والدِّلِّيلَى عِلْمُهُ بالدّلالة ورُسُوخُهُ فيها[1] .

الدّلَالةُ: مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إلى معرفة الشَّيْءِ، كدلالة الألفاظِ على المعنى، ودلالة الإشارات والرُّمُوزِ والكتابة والعُقُودِ فِي الحِسَابِ، وسَواءٌ كان ذلك بِقَصْدٍ ممَّن يَجْعَلُهُ دَلالَةً، أو لَمْ يكُن بِقَصْدٍ كَمَن يرى حَرَكَةَ إنسانٍ فَيَعْلَمُ أنَّهُ حَيٌّ[2] .

الدّلالة اصْطلاحًا: هي " كَوْنُ الشَّيْءِ بحالةٍ يلزَمُ مِنَ العِلْمِ بِهِ العِلْمُ بِشَيْءٍ آخَرَ، والشَّيْءُ الأوَّلُ: هُوَ الدَّالُّ، والثَّاني: هو المدلولُ، وكيفِيَّةُ دلالةُ اللَّفْظِ عَلَى المَعْنى باصطلاحِ عُلماءِ الأصولِ محصورةٌ في عِبارةِ النَّصّ، وإشارةِ النَّصّ، واقتضاءِ النَّصّ[3]".

نخلُصُ إذًا إلى أنَّ الدلالة: عبارة عن اتِّحَادٍ شامِلٍ بإطارٍ متكاملٍ بين الدَّالّ والمدلول غَيْرِ قابِلٍ للتجزئةِ والفَصْلِ .

أو هي عَمَلٌ متكامِلٌ مِنْ اتِّحادِ وجهي الدلالة: أي الدَّالّ والمدلولِ .

القاهرة ٢٠٠٦م.

(1) لسان العرب (دلل) .

(2) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهانيّ ٣١٦ ـ ٣١٧، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط. أولى – ١٤١٢هـ .

(3) التَّعريفات: للشريف الجرجانيّ ص١٠٤، دار الكتب العلمية، ط. أولى، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

وانظر كشاف اصطلاحات الفنون: للتهانوي ٧٨٧/١، تقديم ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي

دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط. أولى – ١٩٩٦م.

وعليه ينبغي توجيهُ العنايةِ بالعلاقات التي تربط مكونات الدلالة التي يجبُ أن تبْدَأَ من الفِكْرَةِ[١]، أو المحتوى الفِعْلِي الذي تستدعيه الكلمة، والذي يُومِئُ إلى الشَّيْءِ[٢] .

فـ " لا تَقْتَصِرُ دلالة الكلمة على مدلولها فقط، وإنما تحتوي على كُلِّ المعاني التي قد تتخذها ضمن السياقِ اللُّغويّ، وذلك لأنَّ الكلمات، في الواقعِ، لا تتضمَّنُ دلالةً مطلقةً، بل تتحقَّقُ دلالها في السياقِ الذي تَرِدُ فِيه، وتَرتَبِطُ دلالةُ الجُمْلَة بدلالةِ مفرداتها[٣]" .

(١) فالدَّالُّ هو الصورة الصوتيَّةُ التي تنطبِعُ مباشرةً في ذِهنِ السَّامِعِ، وهو بعبارةٍ أخرى: الإدراك النفسي

للكلمة الصَّوْتِيَّةِ، أمَّا المدلولُ فهو الفكرةُ التي تقترنُ بالدَّالِّ . انظر اللغة والفكر بين علم النَّفْسِ وعِلْمِ اللِّسانِيَّةِ:

بَسَّام بركة، مجلة الفكر العربي المعاصر، مارس، ١٩٨٢م .

(٢) انظر مدخل إلى عِلْمِ الدلالة الألسُنِي: موريس أبو ناصر، مجلة الفكر العربي المعاصر، مارس، ١٩٨٢م .

(٣) المُكَوِّنُ الدلاليّ في القواعِدِ التوليديَّة والتحويليَّة: ميشال زكريًّا، مجلة الفكر العربي المعاصر، مارس،

١٩٨٢م .

المبحث الأوَّل

التفسير النحوي والتفسير الدلالي

المطلب الأوَّلُ

(تَفْسِيرُ الإعراب وتَفْسِير المَعْنى)

أمَّا الإعرابُ فهو الإبانة عن المعاني بالألفاظِ (والحركاتِ، أو الحروف، أو الإتباع، أو الدلالة المعنوية)، أو المجيء على الأصلِ في الترتيب عند خفاء اللفظ، ولا قرينةَ تُبَيِّنُ هذا من ذاك.

ألا ترى أنَّكَ إذا سَمِعْتَ: أَكْرَمَ سعيدٌ أباهُ، وشَكَرَ سعيدًا أبوهُ، عَلِمْتَ برفعِ أحدِهما ونَصْبِ الآخَرِ الفاعلَ من المفعول، ولو كان الكلامُ عَلَى سَمْتٍ واحِدٍ لِمَا عُرِفَ هَذا مِن ذلك .

وكذا إن كانت هناك دلالةٌ من قِبَلِ المَعنى وقع التَّصَرُّفُ بالتَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ، نحو: أكَلَ الكمَّثرى يحيى، وضربت هذا هذه، وكلَّمَ هذه هذا، وكذا لو أومأتَ إلى رجُلٍ وفَرَسٍ؛ فقلتَ: كَلَّمَ هذا هذا فلم يُجِبْهُ لجعلت الفاعل والمفعول أيَّهما شِئْتَ؛ لأنَّ القرينةَ الحالِيَّةَ تُبَيِّنُ مَا نعني .

فإن لم يكُن هناك شَيْءٌ مِمَّا مضى، فإنَّ الذي يقومُ مقامَ الإعراب تقديمُ الفاعلِ وتأخيرُ االمفعولِ، نحو: ضَرَبَ يَحْيى بُشرى[1] .

فالإعراب من خصائص العربية، بل من أشدِّ هذه الخصائص وضوحًا[1] .

([1]) انظر الخصائص: ٣٦/١، ونَصُّ ابن جني: " ضرب يحيى بشرى فلا تجد هناك إعرابًا فاصلًا وكذلك نحوه

قيل: إذا اتفق ما هذه سبيله مما يخفى في اللفظ حاله ألزم الكلام من تقديم الفاعل وتأخيرالمفعول ما يقوم مقام

بيان الإعراب. فإن كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير نحو أكل يحيى كمثرى: لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت وكذلك ضربت هذا هذه وكلم هذه هذا".

فَأمَّا الإعرابُ ففيه تَمَيُّزُ المعاني، ويُوقَفُ على أغْرَاضِ المُتَكَلِّمِينَ، وذلك أنَّ قائلًا لو قال: (مَا أحْسَنَ زَيْد)غَيْرَ مُعْرِبٍ، أو (ضَرَبَ عمر زَيْد) غَيْرَ مُعْرِبٍ لَمْ يُوقَفْ على مُرادِهِ، فإذا قال: مَا أحْسَنَ زَيْدًا، أو مَا أحْسَن زَيْدٍ؟ أو مَا احْسنَ زَيْدٌ أبان بالإعراب عَنِ المَعْنى الذي أرادَهُ(٢).

والنَّظرُ إلى المعنى التركيبيّ والمعنى الدلالِيّ فِي التحليلِ النحوي يَقْتَضي أن نكونَ على ذُكْرٍ مِنْ أفكارٍ أساسيَّةٍ، منها:

١. العلاقات الأساسية في التراكيب والموقعية . ٢. المركَّبات المؤتلفة والمركَّبات المختلفة.

٣. التركيبية والتلازم. ٤. البنية الصرفية والتراكيب النحوية.

٥. المسيطر الخارجيّ والمسيطر الداخلِي. ٦. المركبات والعناصر.

٧. العمل وقوة الكلمة. ٨. المكملات والعناصر غير الأساسية.

---

(١) انظر النحو العربي بين الصناعة والمعنى: د. عبد الفتاح محمد حبيب١٥.١٦، ط. أولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩ م.

(٢) انظر الصَّاحِبي: لابن فارس ص٣٥، منشورات محمد علي بيضون، ط. أولى ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

" فإن الإعراب هو الفارق بَيْنَ المعاني. ألا ترى أن القائل إِذَا قال: "مَا أحسن زيد" لَمْ يفرّق بَيْنَ التعجب

والاستفهام والذمّ إِلَّا بالإعراب. وكذلك إِذَا قال: "ضرب أخوك أخانا" و"وَجْهُك وجهُ حُرّ" و"وجهُك وجهٌ

حرٌ" وَمَا أشْبَه ذَلِكَ من الكلام المشْتَبه" . وص ٤٣" من العلوم الجليلة الَّتِي خصت بِهَا العرب الإعرابُ

الذِي هو الفارق بَيْنَ المعاني المتكافِئَة فِي اللفظ، وبه يعرف الخبر الَّذِي هو أصل الكلام، ولولاه مَا مُيّز

فاعل من مفعول، ولا مضاف من مَنْعوت، ولا تَعَجُّبٌ من استفهام، ولا صَدْر من مصدَر، ولا نعتٌ من تأكيد" .

٩. جُملة أساسيَّة وجملة تابعة. ١٠. نماذج الجملة وأنماط بنائها[١] .

وَقَدْ عُلِمَ بالاستقراء سَوْقُ الإعراب في ضوء المعنى، وأنَّ هناك فرقًا بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى، " وذلك كقولهم في تفسير قولنا: (أهلَكَ والليلَ) معناه: الْحَقْ أَهْلَكَ قَبْلَ اللَّيْلِ، فربما دعا ذاك من لا دربة له إلى أن يقول: (أَهْلَكَ واللَّيْلِ) فَيَجُرّه، وإنما تقديره: الحق أهلك وسابق الليلَ.

وكذلك قولنا: (زَيْدٌ قَامَ) رُبَّمَا ظن بعضهم أن زيدًا هنا فاعل في الصنعة، كما أنه فاعل في المعنى.

وكذلك تفسير معنى قولنا: (سَرَّني قِيَامُ هذا وقُعُودُ ذاك)، بأنه سَرَّني أَنْ قَامَ هذا وأنْ قَعَدَ ذاك، ربما اعتقد في هذا وذاك أنهما في موضع رفع لأنهما فاعلان في المعنى. ولا تستصغر هذا الموضع؛ فإن العرب أيضًا قد مرت به وشمت روائحَه ورَاعَتْهُ.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في "عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه": د. سعيد بحيري من ص ٤١ إلى ص ١١٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. أولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
العلاقة في التراكيب المتدرجة تتمثل في نظام رأسي يُوضع على رأسه عنصر يُطلق عليه المسيطر الذي يتحكم في عناصر أخرى تعود عليه . فالاسْمُ في تركيب اسمي (جملة اسمية) هو المسيظر، وهناك عناصر تتبعه، والفعل في جملة فعلية يحكم تركيبا كاملًا تتبعه العناصر الأخرى فيكون هو المسيطر؛ فيطلق على هذا العنصر المسيطر الخارجي. والعناصر التابعة للاسم أو الفعل تتحكم في عناصر أخرى تالية لها تتبعها، ويلاحظ أن العناصر الأخرى (غير الفعل) تابعة (من جهة الفعل)، ومسيطرة (من جهة العناصر التالية لها)، ومن ثمَّ يطلق عليها مصطلح العنصر المسيطر الداخلي. عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه بتصرف ٦٣ و٦٤.
وأرى أن المسيطر الخارجي هو المتكلم باللغة ومقاصده والمعاني التي يريدها بكلامه في ضوء إمكاناتها التركيبية الثرية وما تنتجه من معانٍ نحوية، والمسيطرَ الداخليَّ هو العلاقات النحوية في التراكيب .

ومن ذلك قولهم في قول العرب: (كُلُّ رَجُلٍ وصَنْعَتُهُ)، و(أنت وشَأْنُكَ): معناه أنت مع شأنك، وكل رجل مع صنعته، فهذا يُوهِمُ مِنْ أَمَمٍ[١] أن الثاني خبر عن الأول كما أنه إذا قال: أنت مع شأنك فإن قوله (مع شأنك) خبر عن أنت. وليس الأمر كذلك بل لعمري إن المعنى عليه غير أن تقدير الإعراب على غيره. وإنما (شأنك) معطوف على (أنت) والخبر محذوف للحمل على المعنى، فكأنه قال: كل رجل وصنعته مقرونان وأنت وشأنك مصطحبان...

ومن ذلك قولهم: (أَنْتَ ظَالِمٌ إِنْ فَعَلْتَ) ألا تراهم يقولون في معناه: إن فعلت فأنت ظالم، فهذا رُبَّمَا أَوْهَمَ أنَّ (أنت ظالم) جَوَابٌ مُقَدَّمٌ، ومعاذ الله أنْ يُقَدَّمَ جَوَابُ الشَّرْطِ عَلَيْهِ، وإنما قولُهُ: (أنت ظالم) دَالٌّ عَلَى الجَوَابِ وسَادٌّ مَسَدَّهُ، فأمَّا أنْ يَكُونَ هُوَ الجَوَابُ فَلَا.

ومن ذلك قولهم في (عليك زيدًا): إن معناه (خذ زيدًا) وهو – لعمري– كذلك، إلَّا أنَّ (زيدًا) الآن إنَّمَا هو مَنْصُوبٌ بنفس (عَلَيْكَ) مِنْ حَيْثُ كَانَ اسْمًا لِفِعْلٍ مُتَعَدٍّ، لَا أنَّهُ مَنْصُوبٌ بـ (خذ) .

ألا ترى إلى فرق ما بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى فإذا مر بك شيء من هذا عن أصحابنا فاحفظ نفسك منه ولا تسترسل إليه[٢].

فَمِنَ اهتمامات هذه الدراسة التنبيهُ على إيلاء العناية ـ بادِئَ ذي بَدْءٍ ـ عِندَ التحليل النَّحْوِيّ بتَفْسيرِ الإعرابِ وتَفسيرِ المعنى، وإن كَانَ هناكَ تَعَارُضٌ بَيْنَهُمَا كان الخطأ في تفسير الإعراب أو لفساد المعنى، يكشف هذا التعارضَ وجهٌ إعرابيٌّ ضعيفٌ أو خاطئٌ، أو تقديرٌ خاطئ، ويدرؤه الوجوهُ الإعرابيةُ الصحيحة أو الأقوى، أو إبطالُ معنى، أو تصحيحُ معنى .

---

(١) مِنْ أَمَمٍ: مِنْ قريب، يريدُ بادِيَ الرَّأي، أو في يُسْرٍ من المأخَذِ والتناول . استقراء لمادة (أمم) من لسان العرب.

(٢) الخصائص ١/٢٨٤.

ولا يُفْسِدُ المَعْنى إلَّا استعمالٌ شَاذٌّ أو القوْلُ بوظيفةٍ نحويَّةٍ لَيْسَتْ هِيَ هِيَ .

ثُمَّ تُنَبِّهُ هذه الدراسةُ عَلَى ضرورةِ النَّظَرِ إلى الوظائفِ والمعاني النحويَّة، مع إنعامِ النظر فِي المَعْنى الكُلِّيّ الدّلالِيّ، ومِنْ ثَمَّ إدْراك أيّ أثر للإعراب الخاطئ في تأسيس مذاهب أو أحكام خاطئة، أو معانٍ فاسدة وباطلة، فَإبراز لوجه إعرابي صحيح، وتأويلٍ يتوافق معه .

المَطْلَبُ الثَّانـــي

النحو نظام بناء التَّراكِيب عَلَى أساسٍ مِنَ المعاني

(دَوْرُ النَّحْوِ فِي الكَلَام)

هذا النظامُ تَجْسِيدٌ لِمَقَاصِدِ العَرَبِ، وأنحاء تصرفاتها في ألفاظِها ومعانيها، ولَيْسَ اقتصَارًا عَلَى بَيَانِ أنَّ الفاعلَ مرفوع، والمفعولَ مَنْصُوبٌ، ونَحْوَ ذَلِكَ، بَلْ بَيَانُ مَا يلِيقُ بِكُلِّ بابٍ، ووجوه تَصَرُّفاتِ الأَلْفاظِ والمعاني[1] .

عَلَى خِلافِ ما يرى المتأخِّرُونَ مِنْ حَصْرِهِ فِي الإعرابِ والبِنَاءِ، ومَعْرِفَةِ أحوال أواخِرِ الكَلِمِ .

إذا وَقَرَ فِي النَّفْسِ مَفْهومُ النَّحْوِ المذكورُ آنِفًا كَانَ أحْرَى بالمشتغلين بالدَّرْسِ النَّحْويّ أن يُنْعِمُوا النَّظَرَ العِلْمِيَّ، وأنْ يُعْمِلُوا أفْكَارَهم للكشْفِ عَنْ فاعليَّةِ النَّحْوِ فِي تَفْسيرِ النُّصُوصِ وتَحْلِيلِهَا، والوقوف عَلَى مَعَانِيه، والكَشْف عَن وجُوهِ أدَاءَاتِ التَّرَاكِيبِ المُخْتلِفَةِ الصَّحِيحَةِ لِمَا يُرَادُ بِهَا أداؤُهُ والتَّعْبِيرُ عَنْهُ .

---

(1) انظر الموافقات: لأبي إسحاق الشَّاطبيّ ٥/٥٤، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط. أولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

"وَكِتَابُ سِيبَوَيْهِ يُتَعَلَّمُ مِنْهُ النَّظَرُ وَالتَّفْتِيشُ، وَالمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ سِيبَوَيْهِ وَإِنْ تَكَلَّمَ فِي النَّحْوِ، فَقَدْ نَبَّهَ فِي كَلَامِهِ عَلَى مَقَاصِدِ الْعَرَب، وَأَنْحَاءِ تَصَرُّفَاتِهَا فِي أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، وَلَمْ يَقْتَصِرْ فِيهِ عَلَى بَيَانِ أَنَّ الفَاعِلَ مَرْفُوعٌ وَالمَفْعُولَ مَنْصُوبٌ وَنَحْوِ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ يُبَيِّنُ فِي كُلِّ بَابٍ مَا يَلِيقُ بِهِ، حَتَّى إِنَّهُ احْتَوَى عَلَى عِلْمِ الْمَعَانِي وَالبَيَانِ وَوُجُوهِ تَصَرُّفَاتِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي" .

وهذه الدراسةُ تَدْعو إلى ضرورةِ استحضارِ معانِي النَّحْوِ عِنْدَ الإعراب، والنَّظَر إلى مَدَى تَحَقُّقِها بالتَّراكيبِ وقِيَامِها، كَيَوْمِ وَضَعَها العَرَبِيُّ الأوَّلُ؛ فالمعنى النحوي يَنشَأُ بِسَبَبٍ مِنَ التركيبِ المَقْصُودِ مِنْ مُنْتِجِ الرِسالة الكلامِيَّة، فالمعنى الذي في نفسه يَسوق على أساسِه التركيب النحويّ المعبر عن مُرَادِهِ، والذي يكشف عنه تَأويلُ النُّحَاةِ مِنْ بَعْد بناءً عَلَى تعدد أوجه تفسير الموقف الكلامي، وتَصوراتهم له .

ولا ينعَقِدُ التركيب إلَّا على أساس من المعنى، وجعله سياقًا موضوعيًّا يُجسد الكلام، أو الرسالة اللغويَّة، فـ " اللفظة الواحدة من الاسم أو الفعل لا تفيد شيئًا، وإذا قرنتها بما يصلح؛ حدث معنًى، واستغنى الكلامُ[١] "، والمعنى لا يحصل من الكلمات المنفردة (المعجميَّة)، بل من الكلام؛ لأنَّ الكلام وضع لفائدة، والفائدة لا تحصل من الكلمة المفردة، "وإنما تُجنى مِنَ الجمل ومدارج القول[٢]". فالوقوف على المعنى يحصل بالمعنى الإفرادي مع المعنى الناشئ عن التركيب النحويّ المقصود من المتكلم، و المعنى السياقي مَعَ تَصورها معا والتئماها وتكاملها، وفهم المعنى المعجميّ أساسٌ في اختيار الكلمات في تأليفها معًا (تركيبها) .

ما يعني أنَّ اختيار كلمة سواءٌ أكانت فِعْلًا متصرفًا (في أحد أزمنته الثلاثة)، أو جامدًا ، أم اسْمًا، على أساس من معناها المعجمي في ذاته، ويَعْمِدُ المتكلمُ قاصدًا للمعنى المسوق إليه هذه الكلمة أو تلك في تركيبها مع غيرها، أو يُسندها إلى غيرها على أساس من قواعدِ تربطهما ربطًا داخليًّا، لمعنى يعطيه هذا الإسناد، وقاصدًا أيضًا من التركيب أو الإسناد المسوق إليه هذا التركيب أو ذاك

---

(١) المقتضب: للمبرد ١٢٦/٤، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، القاهرة، ط. ثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

(٢) الخصائص ٣٣١/٢ .

لمعناه النحويّ، وعلى أساس وظيفة كل عنصر من عناصر التركيب أو الإسناد النحويَّة، وهكذا إقامة علاقاتٍ متنوعةٍ في تراكيب متنوعة (علاقات دلالية بين العناصر النحوية الوظيفية)؛ تنتحي سَمْتَ كلام العرب في إنتاج الكلام المفهم، كل ذلك في تداخل عجيب في سليقة العربي الأول؛ تتفاعل بها.

فعِلْمُ النَّحْو: هو عِلْمٌ خَاصٌّ بقَوَاعِدَ مخصوصةٍ يُعْرَفُ بِها ضَبْطُ أواخِرِ الكَلِمَاتِ، وعلاقةُ كُلِّ كَلِمَةٍ بالأُخْرَى، ويُعْرَفُ بها المواقعُ الوظيفيَّةُ لِعَنَاصِر التَّراكِيبِ المختلِفَة، وهي التي تُبَيِّنُ مَا بينها من تآلُفٍ ونظامٍ، وتكشِفُ عن علاقةِ الجُمَلِ بَعْضِها بِبَعْضٍ.

وقد هُدي سيبويهِ إلى النحو قائمًا على معانيه؛ فقد كان الكوفيون يقولون عن سيبويه إنَّه "عَمِلَ كلام العَرَبِ على المعاني وخَلَّى عَنِ الألفاظِ".

أي أنَّهُ أولى الجانِبَ الإدْرَاكِيَّ رعايةً واهتمامًا على حساب الجانب الصوتي (أو الشكليّ)، أو بعبارة أخرى إنَّه يهتمُّ بالدلالة وليس بالدَّالِّ، أو بالمعنى الدَّاخِلِيّ، ولَيْسَ بالشكلِ الخَارِجِيّ[1] .

فالمعْنَى النَّحْوِيُّ أحَدُ ألوانِ المعنى الكُلِّيّ ومُسْهِمٌ رئيسٌ في تكوين المعنى الكُلِّيّ، فَ "لَيْسَ الوصْفُ النَّحْوِيُّ جَامِدًا أصَمَّ خَالِيًا مِنَ الدِّلالةِ؛ إذْ إنَّ الوَصْفَ النَّحْوِيَّ وَصْفٌ للعلاقاتِ التي تربط عناصِرَ الجُمْلَةِ الواحِدَةِ بعضها بالبعضِ الآخَرِ، والعَلاقةُ التي تَصِفُها القواعِدُ النَّحْوِيَّةُ هي نفسُها مُستمدَّةٌ من أمْرَيْنِ:

أحَدُهُمَا: لُغَوِيٌّ يَحْكُمُهُ وَضْعُ الكلماتِ بطريقة معيَّنَة، وبصيغةٍ مُعَيَّنَةٍ، في كُتَلٍ صَوْتِيَّةٍ خَاصَّةٍ .

والآخَرُ: عَقْلِيٌّ وهو المفهومُ المُتَرَتِّبُ على الوضعِ السَّابِقِ مِنْ حَيْثُ ارتباطُ كُلِّ هَيْئَةٍ تَرْكِيبيَّةٍ بدلالةٍ وضْعِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ .

([1]) النَّحْو والدِّلالة: د. محمد حماسة عبد اللطيف ٤٨، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، بالقاهرة، ٢٠٠٦م.

وكِلا الأمرَيْنِ متعاونان بطريقة متداخِلَةٍ، ولا يُمكِنُ فَصْلُ أحَدِهما عَنِ الآخَرِ.

وإذا أنعمنا النَّظَرَ، فسوف نجِدُ أنَّ الجَانِبَ اللُّغَوِيَّ نفسَه للعلاقة الموصوفة في القواعد النحويَّة عَقلِيٌّ في طبقة من طبقات تفسيره؛ فليست علاقة الفاعلية والمفعوليَّة وغيرهما في منتهى النظر الصحيح إلَّا علاقة يُقيمها العقلُ البشريّ للمتكلمين باللغة والرمز بها لدلالة خاصة(١).

والحديث عن قيام النحو على المعاني؛ لأنَّ هذه طبيعة الكلام عمومًا وُضِعَ للمقاصد والمعاني، وهي التي تصدر عنها ألفاظ وتراكيب مقصودة للتعبير عنها؛ مَا يعني الصُّدورَ أيضًا عن تفسير عقلي للغة باعتبارِها البيانَ الذي علمه الله الإنسانَ !

وعلى هذه الفكرة تدور سائر النظريات اللغوية والألسنية المعاصرة التي تهتم بالنحو، وكذلك نظريات المعنى ومعنى المعنى، وكلها محاولات لتفسير دور النحو في الكلام، وأبرزُها نظريَّةُ النَّحْوِ التحويليّ التوليديّ (٢) لتشومسكي، بتنقيحاتها المختلفة وتعديلاتها .

والرَّبْطُ بَيْنَ الدِّلالةِ والتحليلِ النحْوِيّ عَودَةٌ بالنَّحْوِ إلى فِطْرَتِهِ الأولى، ومِنْ هذا البابِ محاولات استكشافِ النَّظرية النحويَّة بعناصرها فِي كِتابِ سيبويهِ، باعتبارِهِ قُرْآنَ النَّحْوِ !

ويَتَفَرَّعُ عَلَى هَذَا قَضيَّةُ (الإعراب فرع المعنى): " لا إعرابَ فيما نفهمُهُ منها ـ اي اللغة العربية ـ إلَّا بعد فَهْمِ المعنى؛ إذْ إنَّ الأصلَ هو المعنى، وبه أو لَهُ يَتِمُّ توجِيهُ الفرعِ، وهو الإعرابُ؛ فالإعرابُ إبانةٌ عَنْ إبانةٍ، وتكونُ الإبانةُ الأولى للفظةِ

---

(١) النحو والدلالة ص ٤٨ و٤٩.

(٢) ليس الغرض من هذه الدراسة عرض هذه النظريات، ولَيْست تُعْنى بالحديث عن نظريات المعنى: النظرية الإشارية، أو النظرية الفكرية، أو نظرية المُنَبِّه (المُثير) والاستجابة، أو النظرية الاسميَّة في المعنى، ولاسرد آراء العلماء قديمًا وحديثًا في المعنى وحَوْلَهُ، ولا بالمدارس الغربية الحديثة في هذا الشَّأنِ .

في إطار وحدتها الدلالية (الجملة) بحَسَبِ ترابطها مع بقيَّةِ ألفاظ هذه الوحدةِ، فهي تعبير حِسِّيٌّ منطوقٌ يُجَسِّدُ بُعدًا دلاليًّا يَتِمُّ لها بارتباطها في دائرتها الأولى، أو بارتباطها في دائرتها الدلالية بدائرة الوحدة الحسية التي تجاورها، وبارتباط دوائر الوحدات كلها ببؤرة الوحدة الدلالية الأمِّ (الجُمْلة)، فتكون الإبانة الثانية[1]" .

ومِنْ ثَمَّ فدلالة المعنى النحْوِيِّ تَشْمَلُ:

٣- دلالة التركيب، وهي بدورها تشملُ:

أ. دلالة الأدوات وتناوبها، ودورها في تكوين المعنى .

ب. دلالة الأفعال والمشتقات.

ج. دلالة الترتيب (صُور التقديم والتأخير فِي الكلمات والجُمَلِ)، وإعادة الترتيب والمعنى.

د. دلالة الزيادة (زيادة الأسماء والأفعال والحروف) ودورها في المعنى.

٢. دلالة الحَذْف، بجميع أنواعه (حذف جزء الجملة، حذف الجملة، حذف الجواب، حذف الأدوات، والحذف في التراكيب الوظيفية والتوابع).

٣. دلالة الإعراب (تفسير الإعراب)، ويَشمَلُ بجانب التحليل النحوي: العلامة الإعرابية والمعنى، ومعاني المواقع الوظيفية النحوية، ومعاني أبواب النَّحْو، وتعدد أوجه الإعراب للأسماء والأفعال، وتفسير أسباب هذا التعدد، والفروق بين الأبواب[2] .

---

(١) إعراب المعنى ومعنى الإعراب في نماذج من القرآن الكريم: د. خليل أحمد عمايرة، مجلة التواصل اللساني

ـ المجلد الرابع ـ العدد الأول ـ مارس ١٩٩٢م. بحث نشره ضمن كتابه: التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠، دار وائل للنشر والتوزيع، عمَّان، الأردن، ط. أولى ٢٠٠٤م.

(٢) انظر الإعراب والمعنى في القرآن الكريم: د. محمد أحمد خضير(موضوعات الكتاب)، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٦م، بدون .

وعليه فالمعنى الذي تؤديه الجُمْلَةُ ينبغي أن يَتَّصِفَ بأُمُورٍ ليُصْبِحَ الكلام مقبولًا، منها:

١. أن لا يكونَ المعنى الذي يُؤدِّيه التَّركيب لا فائدةَ فيه؛ لكونه مبتذلًا معلومًا لكُلِّ أحَدٍ، كقَوْلِكَ: (اللَّيْلُ مُظْلِمٌ، والنَّهارُ مُضِيءٌ) فهذا مما لا فائدةَ فيه[١]، أو لكونِ الحُكمِ عامًا غيرَ مخصوصٍ فلا يُفِيدُ، نحو: (في دار إنسانٍ رَجُلٌ)، و(لرجلٍ ثَوْبٌ)، و(عند رَجُلٍ مَالٌ)[٢].

2. أن لا يكونَ الكلامُ متناقضًا، نحو: (لَم يكن لأبي محمدٍ وَلَد) فهذا تناقض، فكيف يكون ابًا لمحمد من لم يكن له ولد[٣] ؟! ونحو: (ليس لأخي زَيْدٍ أخٌ)؛ فإنَّه لا شَكَّ أنَّ زَيْدًا أخٌ لأخِيه[٤].

٣. أن لا يُؤدِّيَ التَّركيبُ إلى المُحَالِ، وذلك نحو: (صَلَّى جَمِيعُ الخَلْقِ الجُمُعَةَ الماضية في هذا المسجد)؛ فإنَّ هذا محالٌ إذا أريدَ به حقيقةُ هذا التعبير. أمَّا إذا أريد به المبالغة من إطلاق (جميع الخلق) على قسم ممن تصِحُّ منهم الصلاةُ جازَ[٥] .

---

(١) انظر الأصول في النحو: لابن السَّرَّاج ٧٣/١، تحقيق: عبد الحُسَيْن الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، ط. ثالثة، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م .

وانظر في هذا الكتاب: لسيبويه ١٤/١ و٦١/١، و٥٤/١، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. ثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٢) انظر حاشية الخضري ١٨٥/١، دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع، ضبط وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط. أولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) هذا إذا لم يكن المقصود مجرد التكنية.

(٤) حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٥٠/٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، بدون .

وانظر في الكلام المتناقض كتاب سيبويه ١/ ٥٥.

(٥) الجملة العربية والمعنى: د. فاضل صالح السَّامرائي ص٩، دار ابن حزم، ط. أولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤. أن يُفيد الجزءث الثاني من الكلام ما لا يُفيدُه الجزءُ الوَّلُ، فإن لم يُعطِ الجزءُ الثاني فائدةً غَير ما أفادَهُ الجزءِ الأول لم يصِح الكلام، وذلك نحو: (مُمِيتٌ الرجلُ قاتِله)؛ فإنَّ هذا التعبيرَ غيرُ مفيد، وذلك لأنَّه كأنَّه قال: (قاتلٌ الرَّجُلُ قاتِلهُ) فاخْبَرَ بالمبتدإِ نفسه[١] .

٥. أن يكونَ التركيبُ صحيحًا من الناحية اللغويةِ جاريًا على سنن الكلام الفصيح؛ فلا بُدَّ أن يُتوصَّلَ إلى المعنى المطلوب بتعبير صحيح التركيبِ فصيحِهِ، فلا تقولُ: (أقبل خالدًا)، ولا تقول: (سوف محمدٌ يحضرُ)، او (قَدْ أخوك حضر)، ولا غير ذلك مما يخالف أصولَ اللغة وقواعدِها[٢].

هذا وإنَّ كثيرًا من التعبيرات التي لا تصحُّ لفسادِ المعنى، قد تصِحُّ بالتَّأويلِ والتقدير، والحملِ عَلَى المجازِ، ونحو ذلك مما يصرف القولَ عن ظاهرِهِ، وبهذا يتحقق درءُ التَّعارُضِ بين المعاني النحوية والمعاني الدلالية .

وخُلاصةُ رؤيتي البحثيَّة هُنا: أنَّهُ ينبغي دراسةُ النَّحْو ـ وصْلًا بعهدِهِ الأوَّلِ ـ بِتصَوُّرِ كُلِّ مَوْقِفٍ (مَشهدٍ) كلاميّ، أو تواصُلٍ لُغَويٍّ في بيئتِهِ اللُّغويَّةِ، بِرَواية مَا نُقِلَ عَنِ العَرَبِ، مِنْ أمَّهاتِ كُتُبِ النَّحْو، فهذا التراثُ الثَّرِيُّ يَقُصُّ عَلَيْنا سَلاسِلَ مَشاهِدَ مُتَّصِلةٍ لِوقائع حَيَاتهم الكلامِيَّةِ المُتَضَمِّنَةِ لأفكارِهم، ورؤاهم، وحاجاتهم، واجتماعيَّاتِهم، وتصوير بيئتهم ووصْفِها، ووجداناتهم، ومشاعرهم، وسائر مناحي حياتهم، والظَّرف الملابِس لكُلِّ موقِفٍ كَلاميّ[٣]، وإن كُلُّ ذلك إلَّا مَعَانٍ صَوَّرُوها بكلامهم (شِعرًا ونَثْرًا)، ومَا النَّحْوُ إلَّا البِنْيَةُ التَّركيبيَّةُ لإنْتاجِ هذا الكلام، الذي تَقِفُ مَعاني كُلِّ مفردات حياتهم المذكورة آنِفًا خَلْفِيّةً حَيَّةً نابِضَةً لِكُلِّ موقِفٍ (مَشْهَد) كلامِيّ، وَكانوا قَدْ جَعلُوا (وضَعُوا) ألفاظهم بإزاءِ هذه المعاني أصالَةً؛ فجاءَ كلامُهُم

---

(١) السابق ص ١٠.

(٢) انظر السابق ص ١١.

(٣) وهذه وظيفةُ اللُّغَة الأساسِيَّة .

مُشْتَمِلًا على الألفاظ (كُلُّ مَا يُلْفَظُ به دالًّا ومِنْهُ التَّراكيبُ) دَالَّة على المعاني، قائمًا على مُرادات أنفسهم من التعبير ومقاصدها، وقَدْ أُلْهِمُوا نظامَ تعليقِ الكلم بعضها ببعض بسبب من ذلك، فالمعنى النحوي يَنشَأُ بِسَبَبٍ مِنَ التركيبِ المَقْصُودِ مِنْ مُنْتِجِ الرِسالة الكلامِيَّة، فيُنْشِئُ المعنى الذي في نفسه[١] التركيبَ النحويَّ المعبرَ عن مُرَادِهِ[٢] .

(١) المعنى الدلاليّ الكُلِّيّ ويدخُلُ في تكوينِه بالكلام: المعنى النحويُّ الذي يُظهرهُ نَمَطٌ مُعَيَّنٌ من التركيب، مع
السياق، واختيار الكلمات لتركيب دون آخَر.

(٢) وهذا يحتاج إلى مُؤَلَّفٍ مبسوط، اسأل الله أن يُعِينَ على إنجازِهِ .

المبحث الثاني

دَرْءُ التَّعارُضِ بَيْنَ مَعانِي النَّحْو والمعاني الدلالِيَّة

(نماذج تطبيقيَّة)

ذلكم بُعْدٌ دراسيٌّ (تطبيقِيٌّ) حَوْل المعاني النحوية ورصد تفاعلها في التركيب، بعد التحقق من قيامها به، ومن ثَمَّ رصد الأعاريب الخاطئة أو الضعيفة، وتصويب طريقة الإعراب المسهمة في تكوين المعنى الدلالي .

ويَتضمَّنُ تَحْلِيلًا ونَقْدًا لأعاريب تُعَارِضُ صحيحَ المعنى وصريحَه، أو ضعيفةٍ لا تسهم في تكوين معنى صحيح أو تسوق إلى معنًى محالٍ .

فَمِن بابِ الاستثناء:

١. قولُهُ تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النمل:١٠ ـ ١١] .

التحليل:

فُسِّرَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ إعرَابِيًّا عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ؛ فيكونُ ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ مِنْ جِنْسِ مَا اسْتُثْنِيَ مِنْهُ، فيلزَمُ أن يُوَصَفَ المُرْسَلُونَ بالظُّلْمِ ـ مَعَاذَ الله ـ وهذا مُتَعَارِضٌ مَعَ المَعْنى؛ إذْ لا يلِيقُ أن يُوَصَفَ أَحَدٌ مِنَ المُرْسَلِينَ بالظُّلْمِ، فالصَّحِيحُ تَقْدِمُ المعنى على الإعرابِ، فَيُصْرَفُ ظَاهِرُ الإعرابِ عَلَى مَا يُوافِقُ المعنى، ولِذَلِكَ وُجِّهُ الإعْرَاب إلى:

ـ أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعُ .

ـ أَنَّهُ استِثْنَاءٌ مِنْ محذوفٍ، والمعنى: إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ المرسلون، إنما يخاف غَيْرُهم مِمَّنْ ظَلَمَ؛ فَحَذَفَ. قاله الفرَّاءُ[1].

قال النحَّاس[1]: استثناء من محذوف مُحَالٌ؛ لأنَّه استثناء من شيءٍ لَمْ يُذْكَرْ.

---

(1) معاني القرآن: للفرَّاء ٢٨٧/٢، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخَرَيْنِ، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط. أولى.

ـ أنَّ (إلَّا) هُنَا بمعنى الواو، والمعنى: إنِّي لا يخاف لَدَيَّ المرسلون، ولا مَن ظَلَمَ (بارتكاب الصغائر) .

قال النحَّاس: وكوْنُ (إلَّا) بمعنى الواو لا وجْهَ لَهُ، ولا يجوز في شَيْءٍ من الكلامِ، ومعنى (إلَّا) خِلَاف الوَاوِ[٢] .

قُلْتُ: الاسم المذكور بعد (إلَّا) مخالِفٌ فِي الحُكْمِ لِمَا قَبْلَها إثْبَاتًا، ولَيْسَ بَعْضًا منه، وإن كان محكومًا عَلَيْهِ بِنَقِيضِ مَا قَبْلَهُ، وهذا يُبْطِلُ تفسيرَهُ باسْتِثْنَاءٍ مُتَّصِلٍ، ولأنَّ عِصْمَةَ المُرْسلين ثابِتَةٌ عَقْلًا وشَرْعًا .

وعندي يُصْبِحُ تفسيرُهُ باسْتِثْنَاءٍ مُنْقَطِعٍ لِفَقْدِ البعْضِيَّةِ، لا لفقد المخالفة في الحكم .

٢. قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢].

التحليل:

فُسِّرَتْ إعرابِيًّا بِجَعْلِ لَفْظِ الجَلالةِ (الله) بَدَلًا مِنْ (آلِهَة)، وبهذا يكون معنى الآية: لو كان فِيهِمَا الله لَفَسَدَتَا. وهذا معنًى فاسِد، يجِبُ أن يُصْرَفَ الإعرابُ عَنْ هذا رِعَاية للمعنى، فَقِيلَ:

ـ إنَّ الاستثناءَ مُنْقَطِعٌ.

ـ إنَّ (إلَّا) هُنَا بِمَعْنَى (سِوَى)، والمعنى: لَوْ كَانَ فِيهما آلهة سِوَى الله لفسدتا . قاله الفرَّاء .

---

(١) إعراب القرآن: لأبي جعفر النَّحَّاس ١٣٧/٣، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى، ١٤٢١هـ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبيّ، ج١٠٨/٧، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط. أولى ١٤٣٥هـ ـ ٢٠٠٥م، وانظر النحو وكتب التفسير: إبراهيم عبد الله رُفَيْدَه ٦٦١/١ ـ٦٦٢، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ط. ثالثة، ١٩٩٠م.

- إنَّ (إلَّا) هُنَا لَيْسَت للاستثناءِ، بل هي بمعنى (غَيْر) صِفَة لآلهة، وهو قولُ جمهور النحاةِ: الكسائِيّ، وسيبويْهِ[1]، والشَّلَوْبِينُ وابنُ الضائع[2]، وغَيْرِهِم، مستشهدين بشعر العرب في ذلك[3]:

وَكُلُّ أَخٍ مُفارِقُهُ أَخُـوهُ لَعَمْرُ أبِيكَ إلَّا الفَرْقَدَانِ[4] [الوافر]

---

(1) إعراب القرآن للنحاس ٤٨/٣ .

(2) مغني اللبيب ٩٣/١.

(٣) البيت منسوب لعمرو بن معدي كرب الزبيدي، ومنسوب إلى حضرمي بن عامر. وكلاهما صحابي، خزانة الأدب: لعبد القادر البغدادي ٢/ ٥٢، وشرح المفصل: لابن يعيش ٢/ ٨٩، ومغني اللبيب: لابن هشام ١/ ٧٢، وشرح كتاب سيبويه: لأبي سعيد السيرافي ٧٧/٣، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط. أولى، ٢٠٠٨م .

والفرقدان: نجمان قريبان من القطب وذكر ابن هشام البيت في باب (إلا) الاستثنائية التي يوصف بها وبتاليها جمع منكر أو شبهه إذا تعذّر الاستثناء. ويجوز نصب الفرقدين على الاستثناء . قال السيرافي:

تقديره: وكلّ أخ إلا الفرقدان مفارقه أخوه، و(إلّا) صفة لكلّ. ومفارقه: خبره، ولو كان صفة

للأخ، لقال: الفرقدين؛ لأن ما بعد (إلا) يعرب بإعراب (غير) الذي يقع موقعه. فالمرفوع نعت (كلّ)

والمخفوض نعت أخ. وذكر غيره وجوها من الإعراب.

أحدها: (كلّ) مبتدأ. (مفارقه) خبره . وأخوه: فاعل مفارقه.

الثاني: (كل) مبتدأ، مفارقه :مبتدأ ثان .وأخوه :خبره والجملة خبر الأول. =

الثالث: (كلّ) مبتدأ وأخوه: مبتدأ ثان ومفارقه خبره، والجملة، خبر الأول.

الرابع: (كل) مبتدأ، مفارقه: بدل منه وأخوه خبر كل، أي: مفارق كل أخ أخوه.

الخامس: أن يكون مفارقه، بدلا من (كل) وأخوه: مبتدأ. وكل أخ مفارقه. خبر مقدم.

(4) فَتْح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير: محمد بن علي الشوكانيّ ٤٧٥/٣، دار ابن كثير، ودار

قلت: لا بُدَّ مِنْ صَرْفِ الإعرابِ بحَمْلِ (إلَّا) على (غَيْر) فَيُوصَفُ بها الجَمْعُ المُنَكَّرُ ولَوْ مَعْنًى.

والاستثناءُ مُنْقَطِعٌ فُقِدَتْ فيه البعضيَّةُ؛ فاللهُ وَاحِدٌ ولا إلّهَ غَيْرُهُ؛ استدلالًا بمفهوم المخالفةِ، أو فحوى الخطاب؛ أي: بامتناع فساد السموات والأرض، مع وجود المخالفةِ فِي الحُكْمِ لِمَا قَبْلَهُ، بنفي وجودِ آلِهَةٍ إلَّا إلَهُ مَنْ فيهِمَا؛ الذي يَألهُهُ مَنْ فيهما .

ويمتنع كونُ اسم الجلالة بدلًا؛ لأن المتقدمَ ليس مما يطابق معناه، ولا دزءًا منه، ولا اتَّصَل بضميرٍ يعودُ عليه .

٣. قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]. فَسَّرَ الطَّبَرِيُّ ومَكِّيُّ بْنُ أبي طالبٍ الاستثناءَ على أنَّه من الجملةِ الثَّانيةِ، وهِيَ ﴿ومَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾، وأنَّ هَذَا ـ عندهما ـ مقتضى الإعراب[1] .

الكلم الطيب، دمشق، وبيروت، ط. أولى، ١٤٢٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(1) جَامِع البيان: محمد بن جرير الطبري ٤٨٦/٤، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع

والإعلان، ط. أولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م. يقول الطبريُّ: وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ لَمْ يَذُقْهُ، يَعْنِي: وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مَاءَ ذَلِكَ النَّهَرِ فَهُوَ مِنِّي، يَقُولُ: هُوَ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِي وَطَاعَتِي وَالْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَبِلِقَائِهِ. ثُمَّ اسْتَثْنَى مِنْ قَوْلِهِ:

﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ الْمُغْتَرِفِينَ بِأَيْدِيهِم غُرْفَةً، فَقَالَ: وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْ مَاءَ ذَلِكَ النَّهَرِ إِلَّا غُرْفَةً يَغْتَرِفُهَا بِيَدِهِ فَإِنَّهُ مِنِّي.

ومشكل إعراب القرآن: مكيّ بن أبي طالب ١٣٥/١، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط. ثانية، ١٤٠٥هـ .

قَوْله: ﴿إِلَّا من اغترف﴾ من فِي مَوضِع نصب على الِاسْتِثْنَاء من الْمُضمر فِي يَطْعَمْهُ .

والقَوْلُ بأنَّ المعنى: ومَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فإنَّهُ مِنِّي إلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فإنَّهُ لَيْسَ مِنِّي؛ لأنَّ الاستثناءَ مِنَ النَّفْي إثباتٌ، ومِنَ الإثباتِ نَفْيٌ، هذا فاسدُ المَعْنى؛ لأنهم قَدْ أُذِنَ لهم في الاغترافِ غُرْفةً واحِدَةً.

وهو مردود بجعلِ الاستثناءِ مِنَ الجملة الأولى، وأنَّها في حُكْمِ التَّأخيرِ، ولكنها قُدِّمَتْ للعناية، كما قُدِّمَت ﴿الصَّابِئُونَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] [المائدة:٦٩].

قال الزمخشريُّ: إنَّه «مستثنى من قوله: (فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي) ... الخ» : قال ابنُ المنير الإسكندريُّ[2]: وفي هذه الآية تقوية لمن ذهب إلى أن الاستثناء المتعقب للجمل لا يتعين عوده إلى الأخيرة لاحتمال عوده إلى ما قبلها.

ورد على من منع ذلك محتجًا بامتناع الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بأجنبى من الاستثناء. ولذلك حقق عوده إلى الأخيرة، وتوقف في انعطافه على ما تقدمها، فيجوز عنده أن يعود على الجميع مع الأخيرة. وأما عوده على ما قبل الأخيرة دونها فمتعذر عند هذا القائل فلم يصف في العود إلى الأخيرة لهذه الشبهة. وقد بين القاضي أبو بكر[3] صلاحيةَ عوده إلى ما قبل الأخيرة دونها ردًّا على هذا القائل، واستشهد بقوله تعالى: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا)

---

(1) انظر الكشاف: للزمخشريّ محمود بن عمر بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨هـ) ٢٩٥/١، دار الكتاب العربي – بيروت، ط. ثالثة – ١٤٠٧ هـ.

(2) أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم الجذاميّ (ابن المنير) (ت ٦٨٣ هـ) انظر حاشيتَهُ (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) مطبوعة مع الكشاف ٢٩٥/١ .

(3) ابن العربيّ . انظر أحكام القرآن له ٣٠٩/١ ـ ٣١٠، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط. ثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

ووجه استشهاده: أن المعنى يأبى انعطاف هذا الاستثناء إلى الجملة الأخيرة ويعين عوده إلى ما قبلها .

المنصوب على المصدريَّة، أوالمفعوليَّة:

٤. قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

فُسِّرَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ إعرابِيًّا عَلَى أنَّ ﴿قُرْبَانًا﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ ﴿اتَّخَذُوا﴾، وأنَّ ﴿ آلِهَةً ﴾ بَدَلٌ مِنْهُ، والمفعولُ الأوَّلُ مَحذوفٌ عَائِدٌ عَلَى الصِّلَةِ[١].

وهذا المعنى فاسد ـ عند الزمخشري والسمين الحلبي ـ بجعل القربان اسمًا لما تقرب به إلى الإله، وجعله مفعولًا ثانيًا و(آلهة) بدلًا منه يلزم منه أن يكون الشيء المتقرب به ألهة، والحقيقة أنه غيرها، فكيف تكون الآلهة بدلًا منه[٢] .

قلت: بل ما ذهب إليه الزمخشري والسمين هو الفاسد؛ فإن (قربانًا) منصوب على المصدر، أو على أنه مفعول له، أو مفعول لـ (اتخذوا)، ومعنى القربان في الآية يفسره قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]، وعليه يصح إعراب (آلهة) بدلًا؛ فقد اتخذوا الآلهة (بزعمهم) قربانًا يقربهم إلى الله.

---

(١) قاله النَّحَّاسُ (إعراب القرآن) ١١٤/٤، ونَصُّهُ: يكون «قربانًا» مصدرًا، ويكون مفعولًا من أجله، ويكون مفعولًا، و«آلهة» بدل منه . وانظر ابْنَ عطيَّة (المحرر الوجيز) ١٠٣/٥، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط. أولى، ١٤٢٢هـ، وانظر العُكْبَرِيَّ(التبيان في إعراب القرآن) ١١٥٨/٢، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، وانظر أبا حَيَّان (البحر المحيط) ٤٤٨/٩، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، طبعة: ١٤٢٠هـ .

(٢) الدر المصون: للسمين الحلبي ٦٧٧/٩، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون طبعة، أو تاريخ .

٥ـ قوله تعالى: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج:١٢ـ١٣] .

فُسر قوله تعالى: ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ إعرابيًا على جعل (يدعو) بمعنى يقول. قاله الأخفش. فيكون (من) اسمًا موصولًا صلته الجملة الاسمية من قوله: ﴿ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ وهو في موضع رفع على الابتداء، على أن خبره محذوف؛ أي: يقول لمن ضره أقرب من نفعه إله أو إلهي، فتكون الجملة الاسمية معمولة للقول.

وهذا فاسد لفساد المعنى؛ لأن الكافر لم يعتقد قط أن الأوثان ضرها أقرب من نفعها، فهو لا يعتقد أن فيها ضرًا في الدنيا ولا نفعًا في الآخرة.

ذكر الشهاب[١] أن المنكر عليهم زعمهم أو قولهم إنه إله، وأن ذكر قوله: ﴿ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ تهكم بهم.

قلت: والأظهر أن يكون (يدعو) توكيدًا لفظيًّا لـ (يدعو) الأول على أن اللام للابتداء والخبرَ جملة القسم المحذوف وجوابه المذكور، وهو ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [٢].

الكلام على (لَعَلَّ):

٦ـ قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:٤٤].

ذكر معربو القرآن في قوله (لعله) أوجهًا:

---

(١) عِنَايةُ القَاضى وكِفَايةُ الرَّاضى على تفسير البَيضَاوي (حاشية الشهاب): أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي ٢٨٥/٦، دار صادر . بيروت، بدون ذكر طبعة، أو تاريخ .

(٢) البحر المحيط ٤٩٠/٧، وتفسير القرطبي ١٩٨/٦ و١٩٩، وحاشية الشهاب ٢٨٥/٦، والتبيان في إعراب القرآن ٩٣٥/٢، ومعاني القرآن: للفراء ٢١٨/٢، ومشكل إعراب القرآن ٤٨٨/٢.

أـ أن (لعل) على بابها للترجي، وهو بالنسبة إلى المرسل، وهو موسى وهارون؛ أي: تذهبا على رجائكما وطمعكما في إيمانه، أي اذهبا مترجين طامعين. وهذا قول الزمخشري[١].

ب ـ أنها استفهامية؛ أي: هل يتذكر أويخشى[٢].

وقد رُدّا من جهة المعنى، فعلى كونها للترجي: " لا يستقيم أن يرد ذلك في حق الله؛ إذ هو عالم بعواقب الأمور".

فعن سيبويه: كل ما ورد في القرآن من (لعل وعسى) فهو من عند الله واجب. يعني أنه يستحيل بقاء معناه في حق الله تعالى[٣].

وعلى كونها استفهامية: " هذا قول ساقط، وذلك أنه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى كما يستحيل الترجي".

قلت: قد تكون (لعل) بمعنى (كي) فتفيد العِلِّيَّةَ، وهذا قول الفراء، قال: كما تقول: اعمل لعلك تأخذ أجرك؛ أي كي تأخذ.

و(لعله) بالنسبة لموسى وهارون ـ عليهما السلام ـ فهما لا يعلمان ما سبق به علم الله من عدم إيمان فرعون، وأن الأمر يجري على سنن ظاهرة "فجعل اللفظ على مدلوله باقيًا أولى من إخراجه عنه"[٤].

ومن باب الحال:

---

(١) الكشاف: للزمخشري ٦٥/٣.

(٢) الدر المصون ١٩١/١ .

(٣) وهناك من أجراه من المعتزلة على القاعدة الفاسدة في اعتقاد أن مراد الرب كمراد العبد، منه ما يقع ومنه ما يتعذر– تعالى اللَّه عن ذلك – ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن. والتفسير الصحيح في (لعل) هو الذي حرره سيبويه رحمه اللَّه في قوله: (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى) قال سيبويه: " فالعلمُ قد أتى من وراء ما يكون، ولكن اذهَبَا أنتما فى رَجائكما وطَمَعِكما ومبلغكما من العلم، وليس لهما أكثرُ من ذا ما لم يَعْلَما". الكتاب ٣٣١/١ .

(٤) انظر الدر المصون ٤٣/٨ .

٧ـ ما يحتمل كونه من الفاعل والمفعول، نحو: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة:٣٦]، وتجويز الزمخشري الوجهين[١]. أي الحالية من الفاعل أو المفعول. في ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨] وَهْمٌ[٢]؛ لأن (كافة) مختص بمن يعقل، ووهمه في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨] إذ قدر[٣] (كافة) نعتًا لمصدر محذوف؛ أي: إرسالة كافة أشد [٤]؛ لأنه أضاف إلى استعماله فيما لا يعقل إخراجه عما التزم فيه من الحالية[٥]. ووهمه في خطبة المفصل؛ إذ قال: "محيط بكافة الأبواب" أشد وأشد لإخراجه إياه عن النصب البتة[٦].

وذهبَ أبو حَيَّان إلى أنَّ (كَافَّة) حَال، ولم يُتَصَرَّفْ فيها بغير ذلك، فَجَعْلُها صِفَةً لمصدرٍ محذوفٍ خُرُوجٌ عَمَّا نَقَلُوا[٧] .

قُلْتُ: جاءتِ الحالُ مُؤَكِّدَةً لصاحِبِها (واو الجماعة في "قَاتِلُوا") أو المفعول به (المشركين)، أو كليهما، في آية سورة التوبة، فكلاهما عاقل، وكافَّة تختصُّ بالعاقل، فَتَوَجَّهَ وقوعُها على كليْهما، وامتنعَ وقوعُها على ما هو في موقع المفعول

---

(١) أي الحاليَّة من الفاعلِ أو المفعول .

(٢) قال الزمخشري: "ويجوز أن يكون (كافة) حالًا من (السلم)؛ لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب ..." انظر الكشاف ٢٥٢/١، والبحر المحيط ٣٣٩/٢ .

(٣) عبارة الزمخشري: " ... إلا إرسالة عامة لهم محيطة بهم ... " الكشاف ٥٨٣/٣ .

(٤) أي: ووهمه أشد.

(٥) فجعله صفة للمصدر المحذوف نائبة عنه.

(٦) مغني اللبيب ٢٢٠/٢ .

(٧) البحْر المحيط ٣١٨/٢ قال: "وَكَافَّةً: مِمَّا لَزِمَ انْتِصَابُهُ عَلَى الحَالِ نَحْوَ: قَاطِبَةً، فَإِخْرَاجُهَا عَنِ النَّصْبِ حَالًا لَحْنٌ "، و٣٣٨/٢ قال: : " وَانْتِصَابُ كَافَّةً عَلَى الحَالِ مِنَ الفَاعِلِ"، ٣٣٩/٢ قال: " وَقَوْلُهُ: فَيَكُونُ الْحَالُ مِنْ شَيْئَيْنِ، يَعْنِي: مِنَ الفَاعِلِ فِي ادْخُلُوا، وَمِنَ السِّلْمِ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مُحْتَمَلٌ، وَلَكِنَّ الْأَظْهَرَ أَنَّهُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ، وَذَلِكَ جَائِزٌ، يَعْنِي: مَجِيءَ الحَالِ الْوَاحِدَةِ مِنْ شَيْئَيْنِ، وَفِي ذَلِكَ تَفْصِيلٌ ذُكِرَ في النحو"، والدُّرّ المَصُون ٣٥٩/٢.

به (السِّلْم) في آية سورة البقرة؛ لأنَّهُ لَيْسَ ممَّا يَعْقِلُ، فتجويزُ الزَّمَخْشَرِيّ لَهُ وَهْمٌ ظَاهِرٌ، وأشَدُّ منه وهمُهُ بتقديرِها نَعْتًا لمصدرٍ محذوفٍ في آية سورة سبأ؛ لأنها ملازمةٌ للحالية؛ لا يُتَصَرَّفُ فيها بغير ذلك، ولا حاجة لتقدير محذوفٍ أصلًا، والحالُ تقعُ محصورةً كما في الآية، ولا أعلمُ ذلك في الصِّفَةِ.

٨. قولُهُ تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة:٢٤].

ذهب العكبريُّ والهمذانيُّ إلى أنَّ (أعِدَّت) جملةٌ في موضعِ الحالِ من النار، والعاملَ فيها ﴿فَاتَّقُوا﴾[١].

وهو مردودٌ من جهة المعنى؛ لأنَّ المعنى يَصيرُ: اتقوا النار في حالِ إعدادها للكافرين وهي معدَّةٌ لهم اتَّقَوْا أو لَمْ يَتَّقُوا [٢].

قُلْتُ: القَوْلُ بهذا يُصَيِّرُها حالًا لازِمَةً، والأصْلُ في الحالِ التي لَيْسَتْ للتأكيدِ أنْ تَكُونَ مُنْتَقِلَةً.

وتصويبُ طريقِ الإعرابِ يكونُ بجعلِ الجملةِ لا موضعَ لها من الإعراب، وكأنها سؤالُ جوابٍ مقدَّرٌ لمَّا وُصِفَتْ بأنَّ وقودَها النَّاسُ والحجارةُ، قِيلَ: لِمَنْ أُعِدَّتْ؟ فَقِيلَ: أُعِدَّت للكافرين.

ومِنْ بابِ التمييزِ:

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ٤١/١ " (أُعِدَّتْ): جُمْلَةٌ فِي مَوْضِعِ الحَالِ مِنَ النَّارِ ؛ وَالعَامِلُ فِيهَا فَاتَّقُوا.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي (وَقُودُهَا) لِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: أَحَدُهَا أَنَّهَا مُضَافٌ إِلَيْهَا. وَالثَّانِي: أَنَّ الحَطَبَ لَا يَعْمَلُ فِي الحَالِ. وَالثَّالِثُ: أَنَّكَ تَفْصِلُ بَيْنَ الْمَصْدَرِ أَوْ مَا عَمِلَ عَمَلَهُ وَبَيْنَ مَا يَعْمَلُ فِيهِ بِالْخَبَرِ، وَهُوَ (النَّاسُ)، وانظر الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: للمُنْتَجَب الهمذانِيّ ١٩٥/١، تحقيق: محمد نظام الدين الفُتَيّح، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، ط. أولى، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

(٢) البحر المحيط ١٧٧/١ .

٩. قولُهُ تعالى: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام:١٢٤].

فُسِّرَ (حَيْثُ) على الأصْلِ إعرابيًّا عَلَى أنَّهُ ظَرْفٌ، لكن هذا يقتضي أن يُوصَفَ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بأنَّهُ أعلم في أماكِن وأوقات؛ أي: أنَّ عِلْمَهُ يَخْتلِفُ باختلافِ المكان والزَّمَانِ، والذي نُؤْمِنُ به أنَّ عِلْمَ الله مُطْلَقٌ . ولهذا اعتبر ابْنُ الأنباريّ جَعْلَهُ ظَرْفًا كُفْرًا مُستحيلًا[١] .

وذهب أبو حَيَّان إلى نَصْبِهِ على الظرفيَّة المجازِيَّة عَلَى أن يُضَمَّنَ (أعْلَم) قَبْلَها مَعْنى مَا يتعدَّى إلى الظَّرْفِ؛ فيكونُ التقديرُ: الله أنفَذُ عِلْمًا حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ؛ أي: هُوَ نَافِذُ العِلْمِ فِي الموضِعِ الذي يَجْعَلُ فِيهِ رِسَالَتَهُ[٢] .

وَرَدَّه السَّمِينُ؛ لأنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ أنَّ عِلْمَ الله نَفْسه يَتَفَاوَتُ بالنِّسْبَةِ إلَى الأمْكِنَةِ[٣] .

قُلْتُ: ويَلْزَمُ عَلَيْهِ إخْرَاجُ (حَيْثُ) عَن الظرفِيَّةِ إلى حَالَةٍ لا تُشْبِهُهَا وعلى حَسَبِ العَامِلِ المُتَقَدِّمِ؛ فَتُعْرَبُ مَفْعُولًا بِهِ[٤] .

ومِنْ باب العَطْفِ:

١٠. تَفْسير قولِهِ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [البقرة:٢٥] .

التحليل:

---

(١) انظر البيان في غريب إعراب القرآن: لأبي البركات بن الأنباريّ ٣٣٧/١، تحقيق: طه عبد الحميد طه، ومراجعة: مصطفى السَّقَّا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

(٢) البَحْر المحِيط ٦٣٧/٤..

(٣) انظر الدُّرَّ المصون ١٣٨/٥ ـ ١٣٩ .

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه: لإبراهيم بن السَّريّ الزَّجَّاج ٢٨٩/٢، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط. أولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، والبيان ٣٣٧/١، والتبيان في إعراب القرآن ٥٣٧/١، والدُّر المصون ١٣٩/٥ .

والجُمْلَة مِنْ قَوْلِهِ (وبَشِّر) معطوفَةٌ على مَا قبلها، ولَيْسَ الذي اعْتُمِدَ بالعَطْفِ هو الأمْرُ حَتَّى يُطْلَبَ مُشَاكِلٌ مِنْ أمرٍ أو نهي يُعطَفَ عَلَيْهِ، إنَّمَا المُعْتَمَدُ بالعطْفِ هو جُمْلَةُ وَصْفِ ثَوَابِ المؤمنين، فهي معطوفةٌ على جملةِ وَصْفِ عِقَابِ الكافِرِينَ، كَمَا تقولُ: زَيْدٌ يُعَاقَبُ بالقَيْدِ والإرْهاقِ، وبَشِّرْ عَمْرًا بالعَفْوِ والإطْلاقِ، قاله الزَّمَخْشَرِيُّ وتَبِعَهُ أبو البقاءِ .

وَتَلَخَّصَ مِنْ هذا أنَّ عَطْفَ الجُمَلِ بَعْضِها عَلَى بَعْضٍ لَيْسَ مِنْ شَرْطِهِ أن تَتَّفِقَ مَعَانِي الجُمَلِ، فَعَلى هذا يجوزُ عَطْفُ الجملة الخبريَّة على الجملة غير الخبريَّة، وهذه المسألة فيها اختلافٌ.

ذهب جماعة من النحويين إلى اشتراط اتِّفاقِ المعاني، والصحيحُ أنَّ ذلك ليس بشرطٍ، وهو مذهبُ سيبويهِ.

فعلى مذهب سيبويه يتوجَّهُ إعرابُ الزمخشريّ وأبي البقاء.

وأجازَ الزمخشريّ وأبو البقاء أنْ يكونَ قَوْلُهُ: (وبَشِّر) معطوفًا عَلَى قَوْلِهِ: (فاتَّقُوا النَّارَ)، لِيَكُونَ عَطْفَ أمْرٍ عَلَى أمْرٍ .

وهَذَا الذي ذهَبَا إلَيْهِ خَطَأٌ؛ لأنَّ قَوْلَهُ (فاتَّقُوا) جَوَابٌ للشَّرْطِ ومَوْضِعُهُ جَزْمٌ، والمعطوفُ على الجوابِ جَوَابٌ، ولا يُمْكِنُ في قولِهِ: (وَبَشِّرْ) أن يكونَ جوابًا؛ لأنَّهُ أمْرٌ بالبِشَارةِ ومُطْلَقًا، لا على تقدير: إن لَمْ تفعلوا، بل أمر أن يُبَشر الذين آمَنُوا أمرًا لَيْسَ مُتَرَتِّبًا عَلَى شَيْءٍ قَبْلَهُ ...

وَقَرَأ زَيْدُ بْنُ عَلِيّ: (وَبُشِّرَ) فِعْلًا ماضِيًا مَبْنِيًّا للمفعولِ. قال الزَّمَخْشَرِيُّ: عَطْفًا على (أُعِدَّت)[1] . انتهى.

وهذا الإعرابُ لا يَتَأتَّى على قَوْلِ مَنْ جَعَلَ (أُعِدَّتْ) جُمْلَةً في مَوْضِعِ الحالِ؛ لأنَّ المعطوفَ على الحالِ حالٌ، ولا يتأتَّى أن يكونَ (وبَشِّر) في موضعِ الحالِ،

---

(١) الكَشَّاف ١/١٠٤ .

فالأصَحُّ أنْ تكونَ جُمْلَةً مَعْطُوفَةً على ما قبلها وإن لم تتَّفِقْ معاني الجُمَلِ، كما ذهب إليه سيبويه، وهو الصحيح[1].

قُلْتُ: اشتملَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عَلَى قَضِيَّةٍ ذاتِ تَشْقِيقَاتٍ، هي:

عَطْفُ جُمْلَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ، وهو مُعْتَرَضٌ بقضيَّةٍ خلافِيَّةٍ هي اشتراطُ اتِّفاقِ معانيها مِنْ عَدَمِهِ، وتَجْوِيزُ عَطْفِ (وبَشِّر) على (فاتَّقُوا) في الآية السابقة عليها، من قِبَلِ الزَّمخشريّ والعكبريّ.

وعِنْدي أنَّ هذا لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ العَطْفِ، والواو استئنافِيَّةٌ، وجُمْلَة (بَشِّر) لا محلَّ لها استئنافِيَّةٌ؛ فلا يَصِحُّ عَطْفُها على جُمْلةِ (اتَّقُوا) فَمَوضِعُها الجَزْمُ جوابًا للشَّرْطِ، ويَلْزَمُ أن تكونَ جُمْلَةُ (بَشِّر) جَوَابًا ولَيْسَت كَذَلِك.

ويَصِحُّ عَطْفُ جُمْلَةِ (بُشِّر) على البناءِ للمفعول (قِرَاءَة زَيْد بْن عَلِيّ) على جُملةِ (أُعِدَّت) على اعتبارِ كُلٍّ منهما استئنافيَّةً لا محلَّ لها، ولَيْسَ عَلَى اعتبارِ الأولى في محل نَصْبٍ حالًا مِنَ (النَّار)، ولا يُشْتَرَطُ في عطفهما اتِّفاقُ معنيهما، على الصَّحيح.

الكلام على (مَا):

١١. تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [البقرة:٢٧].

(مَا) موصولة بمعنى الذي، وفيه خمسة أقوال: ... الخامسُ: أنَّهُ على العموم في كُلِّ مَا أمَرَ الله به أن يُوصَلَ، وهذا هو الأوْجَهُ؛ لأنَّ فيه حَمْلَ اللفظِ على مدلولِهِ مِنَ العمومِ، ولا دليلٌ واضحٌ على الخُصُوصِ.

وأجازَ أبو البقاء[2] أن تكونَ (مَا) نكرةً مَوْصُوفَةً، وقد بيَّنَّا ضَعْفَ القوْلِ بأنَّ (مَا) تكونُ موصوفةً خُصُوصًا هُنَا؛ إذْ يَصِيرُ المَعْنى: ويَقْطَعُونَ شَيْئًا أمَرَ الله بِهِ أن يُوصَلَ، فهو مُطْلَقٌ ولا يَقَعُ الذَّمُّ البليغُ والحُكْمُ بالفِسْقِ والخُسْرَانِ بِفِعْلٍ مُطْلَقٍ مَا ...

---

(١) البحر المحيط ١/١٧٩-١٨٠ ..

(٢) التبيان في إعراب القرآن ١/٤٤ .

و(أمَرَ) يَتَعَدَّى إلى اثْنَيْنِ، والأوَّلُ محذوفٌ لِفَهْمِ المَعْنى؛ أي: مَا أمَرَ الله به، و(أن يُوصَلَ) في موضع جَرٍّ بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (بِهِ)، تقديره: بِهِ وَصْلُهُ؛ أي: مَا أمَرَهُم اللهُ بِوَصْلِهِ ...

وأجازَ المَهْدَوِيُّ وابْنُ عَطِيَّةَ[١] وأبو البَقَاءِ[٢] أن تكونَ (أن يُوصَلَ) في موضعِ نَصْبٍ بَدَلًا مِنْ (مَا)، أي: وَصْلَهُ، والتَّقديرُ: ويَقطعُون وَصْلَ ما أمَرَ الله به، وأجَازَ المهدويُّ وابْنُ عَطِيَّةَ أن تكونَ في موضعِ نَصْبٍ مَفْعُولًا مِنْ أجْلِهِ، وقَدَّرَهُ المهدويُّ: كَرَاهِيَةَ ان يُوصَلَ، فيكون الحَامِلُ على القَطْعِ لما أمر الله كراهية أن يُوصَلَ.

وحكى أبو البقاء وَجْهَ المفعول من أجلِهِ، وقَدَّرَهُ (لِئَلَّا)، وأجازَ أبو البقاء[٣] أن يكونَ (أن يُوصَلَ) فِي موضعِ رَفْعٍ؛ أي: هُوَ أن يُوصَلَ .

وهذه الأعاريبُ كُلُّها ضَعِيفَةٌ ... والأوَّلُ الذي اخْترنَاهُ هو الذي ينبغي أن يُحْمَلَ عَلَيْهِ كَلامُ اللهِ، وسِوَاهُ مِنَ الأعارِيبِ بَعِيدٌ عَنْ فَصِيحِ الكَلَامِ[٤] .

قُلْتُ: إعرابُ أبي البقاءِ لـ (ما) على أنها نكرةٌ موصُوفةٌ، والمعنى: ويقطعونَ شيْئًا؛ خَطَأٌ؛ لأنَّ المعنى حِينَئِذٍ يؤولُ إلى أنَّ قطْعَ مُفْرَدَةٍ واحِدَةٍ مِمَّا أمَرَ الله به ان يُوصَلَ مُوجِبٌ للذَمِّ والحُكْمِ بالفِسْقِ والخُسْرَانِ، وهُوَ مَذْهَبُ الخَوَارِجِ والمُعْتَزِلَةِ.

وأكْثَرُ المُعْرِبِينَ للقرآن متى صَلَحَ عِنْدَهم تَقْدِيرُ (مَا) أو (مَنْ) بِشَيْءٍ جَوَّزُوا فِيها أن تكونَ نكرَةً موصُوفَةً، وإثْبَاتُ كَوْنِ (مَا) نكرَةً موصُوفَةً يَحْتَاجُ إلى دَلِيل، ولا دَليل قاطِعٌ هُنَا .

---

(١) المحرر الوجيز ١/١١٣ .

(٢) التبيان ١/٤٤ .

(٣) التبيان ١/٤٤ .

(٤) البحر المحيط ١/٢٠٦ و٢٠٧ .

والصَّوَابُ ما تقدَّمَ مِنْ جَعْلِها مَوصُولَةً بكلامٍ بعدها هو من تمام معناها، وفيها حَمْلُ اللفظِ على ما أُرِيدَ به من العموم؛ فهو عامٌّ في كُلِّ ما أَمَرَ الله به أن يُوصَلَ، مِنْ دِينِ الله وعبادتِهِ في الأرضِ، وإقامَةِ شرائعِهِ وحَفْظِ حُدُودِهِ (قَوْل الجُمْهُور). وهي في موضع نَصْبٍ على أنها مفعولٌ به بِـ (يَقْطَعُونَ) .

وتَقديرُ (أن يُوصَلَ) بمفعولٍ لأجلِهِ، وتقديرُهُ: بكراهية أن يُوصَلَ (المهدَوِيّ)، أو (لِئَلَّا) (أبو البقاء)، تكلُّفٌ ويُجَافِي الظَّاهِرَ؛ إذْ إنَّ ظَاهِرَ النَّصِّ لَمْ يَخُصَّ القَطْعَ بالكَارِهِ للصِّلَةِ وَحْدَهُ، ولا عَيَّنَ المَقْطُوعَ .

بَعْضُ مَعاني النَّحْو وقَضَايا عَقَدِيَّة:

١٢. تفسير قَوْلِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة:٢٩] .

وفي الاستواء هُنَا سَبْعَةُ أَقْوَالٍ[1] والذي يعنينا منهما قولان مبنيان على معنيين نحويين، هما:

---

(١) ١. أَقْبَلَ وعَمَدَ إلى خَلْقِهَا، وقَصَدَ مِنْ غَيْرِ أن يُرِيدَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ خَلْقَ شَيْءٍ آخَرَ، وهُوَ اسْتِعَارَةٌ ... قال معناه الفَرَّاءُ، واخْتَارَهُ الزَّمخشريُّ، وبَيَّنَ مَا الذي اسْتُعِيرَ مِنْهُ.

٢. عَلَا وارْتَفَعَ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ ولا تحْدِيد، قالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ أنَس، والتَّقْدِيرُ: عَلَا أَمْرُهُ وسُلْطَانُهُ، واخْتَارَهُ الطَّبَرِيُّ.

٣. أن يَكُونَ (إِلَى) بِمَعْنى (عَلَى)؛ أي: اسْتَوَى عَلَى السَّمَاءِ؛ أي: تَفَرَّدَ بِمُلْكِهَا ولَمْ يَجْعَلْها كالأَرْضِ مُلْكًا لِخَلْقِهِ ... .

٤. أنَّ المَعنى تحوَّلَ أمرُهُ إلى السماء واستقرَّ فيها، والاستواء هو الاستقرار، فيكونُ ذلك على حذف مضاف؛ أي: ثُمَّ استوى أمرُهُ إلى السَّمَاءِ؛ أي: استقرَّ؛ لأنَّ أوامرَهُ وقضاياه تنزل إلى الأرض من السماء، قاله: الحسن البصريّ .

٥. أنَّ المعنى: استوى بخلقه واختراعه إلى السماء. قاله ابن كَيْسَانَ، ويؤول المعنى إلى القول الأوَّل .

٦. أنَّ المعنى كَمُلَ صُنْعُهُ فيها ، كما تقول: استوى الأمرُ، وهذا ينبو اللفظُ عن الدلالة عليه .

ـ يُؤَوَّل عَلى حَذْفِ مُضَافٍ، أي: ثُمَّ استوى أمْرُهُ إلى السَّمَاء؛ أي: اسْتَقَرَّ، بمعنى تحوَّلَ أمْرُهُ إلى السماء واستقرَّ فيها؛ لأنَّ أوامرَهُ وقضاياه تنزلُ إلى الأرض من السماء.

ـ يُؤَوَّلُ عَلَى انَّ الضَّمِيرَ عائِدٌ عَلَى الدُّخَانِ، وهذا بَعِيدٌ جِدًّا يُبْعِدُهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١]، واختلافُ الضمائر وعَوْدُهُ على غَيْرِ مَذْكُور، ولا يُفَسِّرُهُ سِيَاقُ الكلامِ .

وهذانِ التَّأويلان وغيرهما فرارٌ عمَّا تَقَرَّر في العُقُولِ مِنْ أنَّ اللهَ تعالى يَسْتَحِيلُ أن يَتَّصِفَ بالانتقالِ المعهودِ في غَيْرِهِ تعالى، وأن يَحِلَّ فيه حَادِثٌ أو يَحِلَّ هو في حادِثٍ[١] .

قُلْتُ: أيُّ تأْويلٍ لأسماءِ الله وصِفَاتِهِ يَنْبَغِي أنْ يَسْتَنِدَ إلى التَّوقِيفِ مِنَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ نَفْسيهما، بِغَيْرِ تكييفٍ أو تحريفٍ أو تمثيلٍ أو تَشْبيهٍ، ثُمَّ مَا تقرَّرَ في الفِطَرِ السَّليمة والعُقُولِ الصَّحيحة، ثُمَّ المعاني الصَّحيحةِ مِنَ اللغة، وعَلَيْهِ لا ينبغي تفسيرُ الغعرابِ إلَّا في ضَوْءِ هذا؛ فتأويلُ الاستواءِ بتحوُّلِ أمرِهِ ـ تعالى ـ إلى السَّمَاءِ واستقرارِهِ فيها على حَذْفِ مُضَافٍ؛ تَكَلُّفٌ، فالفِعلُ معطوفٌ على (خَلَقَ) المُسْنَدِ إلى اللهِ تعالى لا إلى أمرِهِ أو خَلْقِهِ او صُنْعِهِ أو اخْتِرَاعِهِ، والقَوْلُ بِعَوْدِ الضميرِ إلى الدُّخانِ ظَاهِرُ البُعْدِ .

<u>الكلام على (إذْ):</u>

١٣. تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ [البقرة:٣٠].

---

٧. يُؤَوَّلُ عَلَى انَّ الضَّمِيرَ عائِدٌ عَلَى الدُّخَانِ، وهذا بَعِيدٌ جِدًّا يُبْعِدُهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١]، واختلافُ الضمائر وعَوْدُهُ على غَيْرِ مَذْكُور، ولا يُفَسِّرُهُ سِيَاقُ الكلامِ .

(١) البحر المحيط ٢١٧/١ .

اختلف المعربون في (إِذْ) فَذَهَبَ أبو عُبَيْدَةَ وابْنُ قُتَيْبَةَ إلى زِيَادَتِها، وهذا ليس بشيْءٍ، وكانَ أبو عُبَيْدَةَ وابْنُ قُتَيْبَةَ ضَعِفَيْنِ فِي النَّحْوِ .

وذهَبَ بَعْضُهُم إلى أنها بمعنى (قَدْ)، والتَّقْديرُ: وَقَدْ قَالَ رَبُّكَ . وهذا لَيْسَ بِشَيْءٍ .

وذهَبَ بَعضُهُم إلى أنَّهُ مَنْصُوبٌ نَصْبَ المَفْعولِ بِهِ بِـ (اذْكُرْ)؛ أي: واذْكُرْ: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ). وهذا لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لأنَّ فِيهِ إخْرَاجَهَا عَنْ بَابِها، وهُوَ أنَّهُ لَا يُتَصَرَّفُ فِيهَا بِغَيْرِ الظَّرْفِيَّةِ، أو بإضافَةِ ظَرْفِ زَمَانٍ إلَيْهَا . وأجَازَ ذلك الزَّمَخْشَرِيُّ[1] وابْنُ عَطِيَّةَ[2] وناسٌ قَبْلَهُمَا وبَعدَهُمَا .

وذَهَبَ بَعْضُهُم إلى أنَّها ظَرْفٌ، واختلفوا، فقال بعضُهم: هِيَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، التقدير: ابْتِدَاء خَلْقِكُم، وقال بعضهم: في موضعِ نَصْبٍ، التقدير: وابتداء خَلْقِكُم؛ إذْ قال رَبُّكَ ... وكِلَا هَذَيْنِ القولَيْنِ لا تحريرَ فِيهِ؛ لأنَّ ابتدَاءَ خَلْقِنَا لم يَكُنْ وَقْتَ قَوْلِ الله للملائكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؛ لأنَّ الفِعْلَ العامِلَ في الظَّرْفِ لا بُدَّ أن يَقعَ فيه، أمَّا أن يَسْبِقَهُ أو يَتَأخَّرَ عَنْهُ، فَلَا لأنَّهُ لا يَكُونُ لَهُ ظَرْفًا .

وذهب بعضُهم إلى أنَّ (إِذْ) منصوبٌ بِـ (قال) بعدَها، ولَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لأنَّ (إِذْ) مُضَافَةٌ إلى الجُمْلَةِ بَعْدَها، والمُضافُ إلَيْهِ لَا يَعْمَلُ فِي المُضَافِ .

وَذَهَبَ بَعْضُهم إلى أنَّ نَصْبَها بِـ (أحْيَاكُم)، تَقْدِيرُهُ: (وهُوَ الذي أحيَاكُم)، (إِذْ قَالَ رَبُّكَ)، وهذا ليس بشيْءٍ؛ لأنَّه حَذفٌ بغير دليلٍ، وفيه أنَّ الإحياءَ ليس واقعًا في وقت قولِ الله للملائكةِ، وحذف الموصولِ وصلتِه، وإبقاء معمول الصلة .

وَذَهَبَ بَعْضُهم إلى أنَّه معمولٌ لِـ (خَلَقَكُم) من قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة:٢١] ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾، فتكون الواو زائدةً، ويكون قد فصل

---

(١) الكشاف ١/١٢٤ .

(٢) المحرر الوجيز ١/١٢٦ .

بين العامل والمعمول بهذه الجمل التي كادت أن تكون سورًا من القرآن، لاستبداد كل آية منها بما سِيقَتْ لَهُ، وعَدَم تعلقها بما قبلها التَّعَلُّقَ الإعرابِيَّ .

فَهذه ثمانية أقوال ينبغي أن يُنَزَّهَ كِتَابُ الله عنها .

والذي تقتضيه العربيةُ نَصْبَهُ بقولِهِ: ﴿أَتَجْعَلُ﴾؛ أي: وَقْتَ قول الله للملائكةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ﴾، كما تقول في الكلامِ: إذْ جِئْتَنِي أكرمتُكَ؛ أي: وَقْتَ مجيئكَ أكرمتُكَ، وإذْ قُلْتَ لِي كَذَا قُلْتُ لَكَ كَذَا .

فانظر إلى حُسْنِ هذا الوجهِ السَّهلِ الواضحِ، وكيفَ لَمْ يُوفَّقْ أكثرُ النَّاسِ إلى القولِ بِهِ، وارتبكوا في دَهْيَاءَ وخَبَطُوا خَبْطَ عَشْوَاءَ[1] .

قُلْتُ: (إذْ) ملازِمَةٌ للظرفِيَّةِ في أغلَبِ أحوالها، ويَجِبُ إضافتها إلى الجُمَلِ (وقد يُحْذَفُ المُضَافُ إليه وهو الجملة أو الجملُ، ويُعَوَّضُ عَنْهُ التَّنْوينُ؛ وهو ما يُسَمَّى تنوينَ العِوَضِ) فِعْلِيَّةٍ أو اسميَّةٍ.

وعلى ما تقدَّم لا ينبغي إخراجُها عن بابها، ولا يُقَدَّرُ لها ما هو مذكورٌ معها في موضِعٍ آخَرَ، فَبَطَلَ ادِّعَاءُ زيادتها، أو أنها بمعنى (قَدْ)، أو أنها مَفْعُولٌ به لفعلٍ محذوفٍ؛ لأنَّهُ حَذْفٌ بغير دليل.

والصَّوابُ مَا ذكره أبو حَيَّان أنَّ نصبَهُ بِـ (أتَجْعَلُ) وهذا ما يَتَّفِقُ مَعَ معنى الآية .

١٤. تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥] .

الجُمْلة من قوله: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ خَبَرِيَّةٌ صِفَة لقولِهِ: ﴿فِتْنَةً﴾؛ أي: غَيْرَ مُصِيبَةٍ الظَّالمَ خاصَّةً، إلَّا انَّ دُخُولَ نُونِ التَّوْكِيدِ عَلَى المَنْفِيِّ بِـ (لَا) مُخْتَلَفٌ فيه، فالجُمْهورُ لا يُجِيزُونَهُ، ويَحْمِلُونَ ما جاءَ منه على الضَّرُورَةِ أو النُّدورِ، والذي نختارُهُ الجَوَازُ، وإلَيْهِ ذهب بعضُ النَّحْويين، وإذا كان قد جاء لَحاقُها الفِعْلَ مبنِيًّا بِـ (لَا) مع الفصْلِ ...

---

(1) البحر المحيط ٢٢٤/١ و٢٢٥.

فَلَأَنْ يَلْحَقَهُ مَعَ غَيْرِ الفَصْل أَوْلَى، نحو: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾، وزعم الزمخشريُّ[1] أَنَّ الجُملةَ صِفَةٌ، وهي نَهْيٌ؛ قال: وكذلك إذا جَعَلْتَهُ صِفَةً، على إرادة القولِ كأنه قيل: واتَّقُوا فِتْنَةً مقولًا فيها (لا تُصِيبَنَّ)، ونظيرُهُ قَوْلُهُ[2]:

حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلامُ وَاخْتَلَطْ جَاؤُوا بِمَذِقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّ [الرَّجز]

أي: بِمَذِقٍ مقولٍ فيه هذا القَوْلُ؛ لأَنَّ فيه لَوْنَ الزُّرْقَةِ التي هي معنى الذِّئْب. انتهى.

وتحْريرُهُ أَنَّ الجُمْلَةَ معمولةٌ لِصِفَةٍ محذوفةٍ . وزعَمَ الفَرَّاءُ[3] أَنَّ الجُمْلَةَ جَوَابٌ للأَمْرِ، نحو قولك: انزِلْ عَنِ الدَّابَّةِ لَا تَطْرَحَنَّكَ؛ أي: إِنْ تنزِلْ عنها لا تطْرَحْكَ. قال: ومِنْهُ ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ﴾ [النمل:١٨]؛ أي: إِنْ تدخلوا لا يحطمنَّكُم، فدخلت النونُ لِمَا فيها من معنى الجزاء. انتهى.

وهذا المثال بقولِهِ: ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ ليس نظيرَ ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾؛ لأَنَّه ينتظم من المثال والآية شرْطٌ وجَزَاءٌ كما قَدَّرَ ولا ينتظم ذلك هناك، ألا ترى

---

(١) الكشاف ٢/٢١١ .

(٢) لا يُعرفُ قائلُهُ . والشاهد فيه: (بِمَذِقٍ هَلْ رَأَيْتَ) فإنَّ ظاهره أنَّ الجملة المصدرة بحرف الاستفهام قد وقعت نعتًا للنكرة، وليس الأمر على ما هو ظاهر، بل النَّعتُ (قول) محذوف، وهذه الجملة معمولة له، والقولُ يحْذفُ كثيرًا ويبقى معموله. انظر خزانة الأدب: للبغدادي ٢/١٠٩، قال: " على أَن قَوْلهم: هَل رَأَيْت وَقعت

صفة (مذق) بِتَقْدِير القَوْل يَعْنِي أَن الجُمْلَة الَّتِي تقع صفة شَرطهَا أَن تكون خبرية؛ لِأَنَّهَا فِي الْمَعْنى كالخبر عَن المَوْصُوف فجملة (هَل رَأَيْت) ظَاهرهَا أَنَّهَا وَقعت صفة لمذق مَعَ أَنَّهَا استفهامية والاستفهام قسم من الإِنْشَاء. فَأجَاب بِأَن التَّحْقِيق أَنَّهَا معمولة للصفة المحذوفة أَي: بمذق مقولٍ فِيهِ: هَل رَأَيْت أَو يَقُول فِيهِ من رَآهُ **هَذَا القَوْل وَنَحْوه**" . **وانظره أيضًا فيه ٥/٤٦٨، ٩/١٨٣، ١٠/٢٤٦ . تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. رابعة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .**

(٣) معاني القرآن: للفراء ١/٤٠٧ .

أَنَّهُ لا يصحُّ تقدير: إن تتقوا فتنةً لا تُصِيبُ الذين ظلموا منكم خاصَّة؛ لأنه يترتب إذْ ذاك على الشرط مقتضاه من جهة المعنى .

وأخَذَ الزمخشريُّ قَوْلَ الفرَّاءِ وزَادَهُ فسادًا وخَبَطَ فِيهِ فقالَ: وقوله: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ لا يخلو من أن يكونَ جوابًا للأمر، أو نهيًا بعدَ أمرٍ، أو صِفَةً لِـ ﴿فِتْنَةً﴾، فإذا كان جوابًا فالمعنى: إن أصابتكم لا تُصِبِ الظَّالمينَ منكم خاصَّةً، ولكنها تعمُّكُم . انتهى تقريرُ هذا القوْلِ فانظر كيْفَ قَدَّرَ أن يكونَ جوابًا للأمْرِ الذي هو (اتَّقُوا)، ثُمَّ قَدَّرَ أداةَ الشَّرْطِ داخِلَةً عَلَى غَيْرِ مضارع (اتَّقُوا) فقال: فالمعنى: إن أصابتكم؛ يعني الفتنةَ، وانظر كَيْفَ قَدَّرَ الفرَّاءُ فِي (انزِلْ عَنِ الدَّابَّةِ لَا تَطْرَحَنَّكَ)، وفي قَوْلِهِ: ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ فأدْخَلَ أداةَ الشَّرْطِ على مضارِعِ فِعْلِ الأمْرِ. هكذا يقدر ما كان جوابًا للأمْرِ[1] .

قُلْتُ: اعتراضُ الجمهور على دخول نون التوكيد على المنفيِّ لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ؛ إذْ وَرَدَ بِهِ السَّمَاعُ، كما نطقَتْ بِهِ الآيَةُ .

وجَعْلُ الزَّمخشريّ الجُمْلةَ نَهْيًا مَأخَذٌ بَعِيدٌ، ولماذا العُدُولُ عَنْ كَوْنِ (لَا) نَافِيَةً ؟! وجَعْلُها ناهِيَةً لا يكونُ إلَّا بتأويلٍ لا يَسُوغُ كَمَا قَدَّرَهُ، أو صوتيًّا بالتنغيم مع الوقف على (فِتْنَة)، فالابتداء بِـ (لاتُصِيبَنَّ) . والله تعالى أعلم.

ومن ذكرهم وتمييزهم لتفسير المعنى وتفسير الإعراب:

١٥. اللَّام الزائدة في نحو: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء:٢٦]، ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ [الأنعام:٧١]، وقول الشاعر:

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَها، فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ، لِي، لَيْلَى، بِكُلِّ سَبِيلِ [الطويل]

فاللَّامُ في ذلك، ونحوه، زَائدةٌ عند قَوْمٍ من النَّحويين .

وذهب المحققون إلى أنَّها لامُ (كَيْ)، ولهم في توجيه ذلك قوْلان:

---

(١) البحر المحيط .٣٠٤/٥ .

أحدُهما: أنَّ المَفْعُولَ محذوفٌ، واللَّامَ للتعليل، والمعنى: يُرِيد الله ذلك لِيُبَيِّنَ، وأُمِرْنَا بما أمرنا به لِنُسْلِمَ، وأُريدُ لأنسى ذكرَها .

والثَّاني: مَا حُكِيَ عَنْ سيبويْهِ وأصْحَابِهِ، أنَّ الفِعْلَ مُقَدَّرٌ بالمَصْدَرِ؛ أي: إرادة الله لِيُبَيِّنَ، وأُمِرْنا لِنُسَلِّمَ؛ فينعقد من ذلك مُبْتَدَأٌ وخَبَرٌ .

قُلْتُ: قال سيبويه: وسألْتُهُ ـ يعني الخليل ـ عن هذا البيتِ، يعني البيتَ المتقدِّمَ، قال: المعنى إرادتي لأنسى .

فإنْ قُلْتَ: مَا حَقِيقَةُ هذا القَوْلِ؟ قُلْتُ: هُوَ كالقَوْلِ الذي قَبْلَهُ في أنَّ اللَّامَ للتعليلِ، ولَكِنَّ معمولَ الفِعْل، على القَوْلِ الأوَّلِ، حُذِفَ اخْتِصَارًا، فهو مَنْوِيٌّ لِدَلِيلٍ .

وعلى هذا القول حُذِفَ اقْتِصَارًا، فهو غَيْرُ مَنْوِيٍّ؛ إذْ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ قَصْدُ المُتَكَلِّمِ، فَيَصِيرُ الفِعْلُ على هذا كاللَّازِم .

ولذلك انعقد من ذلك مُبتدأٌ وخَبَرٌ، وهُوَ تَقْدِيرٌ معنويٌّ لا إعرابيٌّ .

وهذا معنى قولِ ابْنِ عطيَّة[1]، بعد ذِكْرِهِ القولَيْنِ: وقَوْلُ الخليلِ أخْصَرُ وأحْسَنُ[2] .

١٦. تفسيرُ قولِهِ تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحُجُرَات:١٢] .

قَدَّرَ أنَّهم قالُوا بَعْدَ الاستفهامِ: (لَا)، فَقِيلَ لهم: فَهَذَا[3] كَرِهْتُمُوهُ، يَعْنِي والغِيبَةُ مِثْلُها فاكرهوها، ثُمَّ حُذِفَ المُبتدأُ، وهو (هَذَا) .

وقال الفارِسِيُّ: التَّقْديرُ: فكما كرهتموه فاكرهوا الغِيبةَ[1] .

---

(١) المحرر الوجيز ٢/١٦٥ .

(٢) الجنى الدَّاني: للمراديّ ١٢١ و١٢٢، تحقيق: د فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط. أولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

(٣) الفاء هي الفَصِيحَةُ واقعة في جواب شرطٍ مُقَدَّرٍ؛ أي: إذا كان كذلك فهذا كرهتموه، والغِيبَةُ مِثْلُهُ .

وضَعَّفَهُ ابْنُ الشَّجَرِيّ[٢] بأَنَّ فِيهِ حَذْفَ الموْصُولِ، وهُوَ (مَا) المصدرِيَّةُ، دُونَ صِلَتِها، وذلك ضَعِيفٌ، ولَوْ قَدَّرَ المحذوفَ مُبتدأً كان جَيِّدًا؛ لأَنَّ حَذْفَ المبتدأ أَكْثَرُ فِي القُرْآنِ ...

والجُمْلَةُ المقدَّرةُ المحذوفةُ مُبْتَدَئِيَّةٌ لا أمرِيَّةٌ كَمَا قَدَّرَ ... وإِنَّمَا قَدَّرَها أَمْرِيَّةً لِتُعْطَفَ عَلَيْها الجُمْلَةُ الأمرِيَّةُ التي هِيَ: (اتَّقُوا اللهَ)، ولا حاجَةَ بالكَلَامِ إلى تقديرِ جُمْلة أمرية ...

وعَطْفُ الجُمْلَةِ على جملةٍ مذكورة أُولى من عطفِها على جملةٍ مُقَدَّرَةٍ ... فتأمَّلْ مَا ذَكَرْتُهُ تَجِدْهُ أَصْوَبَ الكَلامَيْنِ[٣] .

ومعنى كلام الفارسيّ: فكما كرهتموه فاكرهوا الغِيبَةَ، وإن لَمْ تَكُنْ (كَمَا) مذكُورَةً، كما أنَّ (مَا تَأْتِينَا فَتُحَدِّثنا)[٤] معناه: فَكَيْفَ تُحَدِّثُنَا، وإن لَمْ تَكُنْ (كَيْفَ) مذكورَةً .

---

(١) الحجة للقراء السبعة: لأبي علي الفارسي ٢١٢/٦، تحقيق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، ط. ثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

(٢) انظر أمالي ابن الشجريّ (مقدمة الأمالي) ص ١٣٧، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. أولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩١م . ولم يتأمَّلْ ابنُ الشجري كلام الفارسي . انظر المغني ١٨٦/١.

(٣) انظرالمُغْنِي ١٨٦/١ .

(٤) قال النحاة في نحو: (ما تأتينا فتحدّثنا) يجوز في الثاني النصب والرفع فالنصب من وجهين يجمعهما: أن الثاني مخالف للأول؛ فأحد المعنيين: ما تأتينا محدّثا، والوجه الآخر: ما تأتينا فكيف تحدّثنا، وأما الرفع فعلى وجهين، أحدهما: أن يكون الفعلُ شريكًا للأول داخلًا معه في النفي، كأنك قلت: ما تأتينا وما تحدّثنا، فهما جملتان منفيتان والوجه الثاني أن يكون معنى (ما تأتينا فتحدّثنا)؛ أي: ما تأتينا فأنت تحدّثنا، قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:٣٥ و٣٦]؛ أي فلا يعتذرون، ومنه

وهذا يقتضي أنَّ (كَمَا) لَيْسَتْ محذوفَةً، بَلْ إنَّ المعنى يُعْطِيها، فهو تفسيرُ مَعْنًى لا تفسير إعراب[1] .

ونقل أبو حَيَّان بَعْضَ كَلامِ الفارِسِيّ، ورأى فيه عجرفَةَ العَجَمِ، ثُمَّ نَقَلَ كَلامَ الزمخشرِيّ ووَصَفَهُ بالوصْفِ نَفْسِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ تَقْدِيرَ الفَرَّاءِ، وهُوَ: (فَكرهتموه فلا تفعلوه)، وقالَ: " والذي قَدَّرَهُ الفرَّاءُ أسْهَلُ وأقَلُّ تَكَلُّفًا، وأجْرَى عَلَى قَوَاعِدِ العرَبِيَّةِ[2]".

ومِنْ أمثلةِ التَّأويلِ بصَرْفِ النَّصّ عَنْ ظَاهِرِهِ لِتَصْحِيحِ المعنى أو الأصْلِ النَّحْوِيّ:

١. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران:١١١] .

هذه الآيةُ خُولِفَ فيها طَرِيقُ الإعراب في الظاهرِ مِنْ جِهَةِ عَطْفِ ما ليس بمجزومٍ على المجزومِ، لِيعدلَ عنِ الظَّاهِرِ إلى تأويلٍ يُصَحِّحُ المعنى المرادَ؛ فإنَّ المُرَادَ ـ والله أعلم ـ بِشَارةُ المسلمين بخذلانِ عدوّهم في الحالِ وأبدًا في الاستقبالِ، وَلَوْ عَطَفَ الفِعْلَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ عَلَى قاعدةِ العَرَبِيَّةِ الظَّاهِرَةِ لَمَا أفادَ سِوَى الإخْبَارِ بأنَّ العَدُوَّ لا ينتصرُ فِي الحَالِ، وفي زَمَنِ المقاتلة وَوَقْتِ التَّوْلِيَةِ، ولا يُعْطِي ذلك

قول جميل:

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ القواءَ فَيَنْطِقُ وهَلْ يُخْبِرَنَّكَ اليوْمَ بَيْدَاءُ سَمَلَّقُ [الطويل]

فقد قطع ينطق مما بعده ورفعه على الاستئناف أي فهو ينطق على كل حال قال سيبويه : لم يجعل الأول سبب الآخر ولكنه جعله ينطق على كل حال . انظر إعراب القرآن وبيانه: لمحي الدين الدرويش ٣٤٧/١٠، دار **الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط. رابعة، ١٤١٥هـ . ونَصُّ سيبويه: " لم يجعل الأول سببًا للآخر، ولكنه جعله ينطق على كل حال، كأنه قال: فهو مما ينطق كما قال: ائتني فأحدثك، فجعل نفسه ممن يحدثه على كل حال". الكتاب ٣٧/٣.**

(١) انظر المغني ١٨٦/١.

(٢) البحر المحيط ٥٢١/٩، وانظر معاني الفرَّاء ٧٣/٣.

خذلانَهم على الدَّوَامِ فِي الحَالِ، فقد قَالَ النُّحَاةُ: إنَّ الوَجْهَ فِي هَذَا الموْضِعِ أنْ يُقَالَ: هو عطْفُ الجُمْلَةِ عَلَى الجُمْلَةِ؛ إنَّ التَّقْدِيرَ: ثُمَّ هُمْ لَا يُنْصَرُونَ، والإشْكَالُ بَاقٍ مَعَ ذَلِكَ، فَإنَّهُ يُقَالُ: لِمَ عَدَلَ عَنْ مَجِيءِ الكَلَامِ على قاعدةِ العَرَبِيَّةِ المعروفة إلى مَا يَحْتَاجُ إلى التَّأويلِ؟ [١] ... .

٢. قَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام:١٥١] .

ظاهر الكلا م يدلُّ على تحريم نفي الشرك، وملزومه تحليل الشرك، وهذا خِلافُ المعنى المُرَادِ.

والتَّأويلُ الذي يَحُلُّ هذا الإشكالَ أنَّ الله سبحانه وتعالى قال لنبيِّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: قُلْ لهؤلاءِ تعالَوْا أتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيْكُم، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إليْهِ قال لهم: وَصَّاكم رَبُّكُم ألَّا تُشْرِكوا بِهِ شَيْئًا[٢].

هذا والحَمْدُ للهِ أوَّلًا وآخِرًا .

---

(١) بديع القرآن: لابن أبي الإصبع المصريّ ص ١٣٢، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر
والتوزيع، بدون طبعة أو تاريخ .

(٢) بديع القرآن ١٣٣ ـ ١٣٤، وانظر البحر المحيط ٦٨٥/٤ وما بعدها، والكشاف ٧٩/٢ .

خَاتِمَــة

تَوَصَّلَتِ الدِّرَاسَةُ إلى عَدَدٍ مِنَ النَّتائجِ، أهَمُّها مَا يَلِي:

١. الرَّبْطُ بَيْنَ الدِّلالةِ والتحليلِ النحْوِيّ عَودَةٌ بالنَّحْوِ إلى فِطْرَتِهِ الأولى، ومِنْ هذا البابِ محاولات استكشافِ النَّظرية النحويَّة بعناصرها فِي كِتابِ سيبويهِ، باعتبارِهِ قُرْآنَ النَّحْوِ !

٢. ينبغي دراسةُ النَّحْو ـ وصْلًا بعهدِهِ الأوَّلِ ـ بِتصَوُّرِ كُلِّ مَوْقِفٍ (مَشهدٍ) كلاميّ، أو تواصُلٍ لُغَويٍّ في بيئتِهِ اللُّغويَّةِ، بِرَواية مَا نُقِلَ عَنِ العَرَبِ، مِنْ أمَّهاتِ كُتُبِ النَّحْو، فهذا التراثُ الثَّرِيُّ يَقُصُّ عَلَيْنا سَلاسِلَ مَشاهِدَ مُتَّصِلةٍ لِوقائع حَيَاتهم الكلامِيَّةِ المُتَضَمِّنَةِ لأفكارِهم، ورؤاهم، وحاجاتهم، واجتماعيَّاتِهم، وتصوير بيئتهم ووصْفِها، ووجداناتهم، ومشاعرهم، وسائر مناحي حياتهم، والظَّرف الملابِس لكُلِّ موقِفٍ كَلاميّ، وإن كُلُّ ذلك إلَّا مَعَانٍ صَوَّرُوها بكلامهم (شِعرًا ونَثْرًا)، ومَا النَّحْوُ إلَّا البِنْيَةُ التَّركيبيَّةُ لإنْتاجِ هذا الكلام، الذي تَقِفُ مَعاني كُلِّ مفردات حياتهم المذكورة آنِفًا خَلْفِيّةً حَيَّةً نابِضَةً لِكُلِّ موقِفٍ (مَشْهَد) كلامِيّ، وَكانوا قَدْ جَعلُوا (وضَعُوا) ألفاظهم بإزاءِ هذه المعاني أصالَةً؛ فجاءَ كلامُهُم مُشْتَمِلًا على الألفاظ (كُلُّ مَا يُلْفَظُ به دالًّا ومِنْهُ التَّراكيبُ) دَالَّة على المعانـي، قائمًا على مُرادات أنفسهم من التعبير ومقاصدها، وقَدْ أُلْهِمُوا نظامَ تعليقِ الكلم بعضها ببعض بسبب من ذلك، فالمعنى النحوي يَنشَأُ بِسَبَبٍ مِنَ التركيبِ المَقْصُودِ مِنْ مُنْتِجِ الرِسالة الكلامِيَّة، فيُثْشِئُ المعنى الذي في نفسه التركيبَ النحويَّ المعبرَ عن مُرَادِهِ .

٣. نظامُ النَّحْو تَجْسِيدٌ لِمَقَاصِدِ العَرَبِ، وأنحاء تصرفاتها في ألفاظِها ومعانيها، ولَيْسَ اقتصَارًا عَلَى بَيَانِ أنَّ الفاعلَ مرفوع، والمفعولَ مَنْصُوبٌ، ونَحْوَ ذَلِكَ، بَلْ بَيَانُ مَا يلِيقُ بِكُلِّ بابٍ، ووجوه تَصَرُّفاتِ الألْفاظِ والمعاني .

٤. في الإعراب تَمَيُّزُ المعاني، ويُوقَفُ بِهِ على أغْرَاضِ المُتَكَلِّمِينَ .

٥. هناك فرقٌ بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى .

٦. تُنَبِّهُ هذه الدراسةُ عَلَى ضرورةِ النَّظَرِ إلى الوظائفِ والمعاني النحويَّة، مع إنعامِ النظر فِي المَعْنى الكُلِّيِّ الدّلالِيّ، ومِنْ ثَمَّ إدْراك أيِّ أثر للإعراب الخاطئ في تأسيس مذاهب أو أحكام خاطئة، أو معانٍ فاسدة وباطلة، فَإبراز لوجه إعرابي صحيح، وتأويلٍ يتوافق معه .

٧. هذه الدراسةُ تَدْعو إلى ضرورةِ استحضارِ معانِي النَّحْوِ عِنْدَ الإعراب، والنَّظَر إلى مَدَى تَحَقُّقِها بالتَّراكيبِ وقِيَامِها، كَيَوْمِ وَضَعَها العَرَبِيُّ الأوَّلُ؛ فالمعنى النحوي يَنشَأُ بِسَبَبٍ مِنَ التركيبِ المَقْصُودِ مِنْ مُنْتِجِ الرِسالة الكلامِيَّة، فالمعنى الذي في نفسه يَسوق على أساسِه التركيب النحويّ المعبر عن مُرَادِهِ، والذي يكشف عنه تَأويلُ النُّحَاةِ مِنْ بَعْد بناءً عَلَى تعدد أوجه تفسير الموقف الكلامي، وتَصوراتهم له.

٨. كِتَابُ سِيبَوَيْهِ يُتَعَلَّمُ مِنْهُ النَّظَرُ وَالتَّفْتِيشُ، وَالمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ سِيبَوَيْهِ وَإِنْ تَكَلَّمَ فِي النَّحْوِ، فَقَدْ نَبَّهَ فِي كَلَامِهِ علَى مَقَاصِدِ العَرَبِ، وَأَنْحَاءِ تَصَرُّفَاتِهَا فِي أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، وَلَمْ يَقْتَصِرْ فِيهِ عَلَى بَيَانِ أَنَّ الفَاعِلَ مَرْفُوعٌ وَالمَفْعُولَ مَنْصُوبٌ وَنَحْوِ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ يُبَيِّنُ فِي كُلِّ بَابٍ مَا يَلِيقُ بِهِ، حَتَّى إِنَّهُ احْتَوَى عَلَى عِلْمِ المَعَانِي وَالبَيَانِ وَوُجُوهِ تَصَرُّفَاتِ الأَلْفَاظِ وَالمَعَانِي.

*****

ثَبَتُ المراجع

ـ الإتقان في عُلومِ القُرْآن: للسيوطيّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

ـ أحكام القرآن: لأبي بكر بن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط. ثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

ـ الاستدلال النحوي ، نحو نظرية معاصرة لأصول النحو العربي: محمد عبد العزيز عبد الدايم، دار الهاني، ٢٠٠٨م، بدون طبعة.

ـ الأصول في النحو: لابن السَّرَّاج، تحقيق: عبد الحُسَيْن الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، ط. ثالثة، ١٤١٧هـ ـ١٩٩٦م .

ـ إعراب القرآن: لأبي جعفر النَّحَّاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى، ١٤٢١هـ .

ـ إعراب المعنى ومعنى الإعراب في نماذج من القرآن الكريم: د. خليل أحمد عمايرة، مجلة التواصل اللساني ـ المجلد الرابع ـ العدد الأول ـ مارس ١٩٩٢م. بحث نشره ضمن كتابه: التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمَّان، الأردن، ط. أولى ٢٠٠٤م.

ـ الإعراب والمعنى في القرآن الكريم: د. محمد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٦م، بدون .

ـ أمالي ابن الشجريّ (مقدمة الأمالي)، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. أولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩١م .

ـ البحر المحيط: لأبي حَيَّان الأندلُسِيّ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، طبعة: ١٤٢٠هـ .

ـ بديع القرآن: لابن أبي الإصبع المصريّ، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون طبعة أو تاريخ .

ـ البيان في غريب إعراب القرآن: لأبي البركات بن الأنباريّ، تحقيق: طه عبد الحميد طه، ومراجعة: مصطفى السَّقَّا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

ـ التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء العُكْبَرِيّ، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

ـ التَّعريفات: للشريف الجرجانيّ، دار الكتب العلمية، ط. أولى، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

ـ التفسير النحوي بين القاعدة والاستعمال: لحنان أحمد أبو العز، رسالة دكتوراه بإشراف: أ. د. محمد عبد العزيز عبد الدايم، بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م .

ـ الجامع لأحكام القرآن: القرطبيّ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط. أولى ١٤٣٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

ـ جَامِع البيان: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط. أولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

ـ الجملة العربية والمعنى: د. فاضل صالح السَّامرائي، دار ابن حزم، ط. أولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

ـ الجنى الدَّاني: للمراديّ، تحقيق: د فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط. أولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

ـ حاشية الخضري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ضبط وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط. أولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، بدون .

ـ حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف): أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم الجذاميّ (ابن المنير) (ت ٦٨٣ هـ) مطبوعة مع الكشاف.

ـ الحجة للقراء السبعة: لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، ط. ثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

ـ خِزَانة الأدب: لعبد القادر البغداديّ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. رابعة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

ـ الخَصَائص: لابن جِنّي، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م .

ـ الدر المصون: للسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون طبعة، أو تاريخ .

ـ شرح كتاب سيبويه: لأبي سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط. أولى، ٢٠٠٨م .

ـ الصَّاحِبي: لابن فارس، منشورات محمد علي بيضون، ط. أولى ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

ـ عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه: د. سعيد بحيري، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. أولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

ـ عِنَايةُ القَاضى وكِفَايةُ الرَّاضى على تفسير البَيضَاوي (حاشية الشهاب): أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، دار صادر . بيروت، بدون ذكر طبعة، أو تاريخ .

ـ فَتْح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير: محمد بن علي الشوكانيّ، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، وبيروت، ط. أولى، ١٤٢٤هـ ـ ١٩٩٤م.

ـ الكتاب: لسيبويه، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. ثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

ـ الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: للمُنْتَجَب الهمذانِيّ، تحقيق: محمد نظام الدين الفُتَيّح، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، ط. أولى، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

ـ كشاف اصطلاحات الفنون: للتهانوي، تقديم ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط. أولى – ١٩٩٦م.

ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشريّ محمود بن عمر بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط. ثالثة – ١٤٠٧ هـ .

ـ لسان العرب: لابن منظور الإفريقِيّ، طبعة دار المعارف، القاهرة، مصر .

ـ اللامات: للزجَّاجِيّ، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر – دمشق، ط. ثانية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

ـ اللغة والفكر بين علم النَّفْسِ وعِلْمِ اللِّسانِيَّةِ: بَسَّام بركة، مجلة الفكر العربي المعاصر، مارس، ١٩٨٢م .

ـ المحرر الوجيز: لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط. أولى، ١٤٢٢هـ.

ـ مدخل إلى عِلْمِ الدلالة الألسُنِي: موريس أبو ناصر، مجلة الفكر العربي المعاصر، مارس، ١٩٨٢م .

ـ مشكل إعراب القرآن: مكيّ بن أبي طالب، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط. ثانية، ١٤٠٥هـ .

ـ معاني القرآن: للفرَّاء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخَرَيْنِ، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط. أولى.

ـ معاني القرآن وإعرابه: لإبراهيم بن السَّريّ الزَّجَّاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط. أولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

ـ مُغْنِي اللَّبِيبِ عَنْ كُتُبِ الأعارِيب: لابْنِ هِشَام الأنصارِيّ، تَحْقِيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م.

ـ مفاتيح الألسنية: جورج مونان، ترجمة: الطيب البكوش، منشورات الجديد، تونس، ١٩٨١م.

ـ المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهانيّ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط. أولى – ١٤١٢هـ .

ـ مقاييس اللغة: لابن فارس (بَابُ الْعَيْنِ وَالنُّونِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

ـ المقتضب: للمبرد، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، القاهرة، ط. ثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

ـ المُكَوِّنُ الدلاليّ في القواعِدِ التوليديَّة والتحويليَّة: ميشال زكريًّا، مجلة الفكر العربي المعاصر، مارس، ١٩٨٢م .

ـ الموافقات: لأبي إسحاق الشَّاطبيّ، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط. أولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

ـ النحو العربي بين الصناعة والمعنى: د. عبد الفتاح محمد حبيب، ط. أولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩ م.

ـ النَّحْو والدِّلالة: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، بالقاهرة، ٢٠٠٦م.

ـ النحو وكتب التفسير: إبراهيم عبد الله رُفَيْدَه، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ط. ثالثة، ١٩٩٠م.

٤– ـ النظرية اللغوية في التراث العربي: د. محمد عبد العزيز عبد الدايم، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة ٢٠٠٦م.